مجلة شهرية

نـــور المسيح
ΦΩΣ XPIΣTOY

Issue No: 90 عدد:
February 2015 شبـــاط

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 . Cana of Galilee 16930. website:www.lightchrist.org

الفرّيسي والعشّار

عودة الإبن الضّال

التّوبة

يوم الدينونة المخوف

تـوبـوا ،

لأنه قد اقترب ملكوت السماوات

ولا تخافوا من الذين يقتلونَ الجسَدَ ولكن النَّفس لا يقدرون إن يقتلوها ، بَل خافوا بالحَريِّ منَ الذي يَقدِر أن يُهلِكَ النَّفسَ والجَسَدَ كِلَيْهِما في جَهَنَّمْ.
(متى ١٠:٢٨)

ارحمني يا اللّه كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رآفاتك امحُ مآثمي

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد القديس سمعان الشيخ

غبطة البطريرك ك. ك. ثيوفيلوس الثالث

«لينفتحنّ اليوم باب السماء. فانَّ الإله كلمة الآب الذي لا بداءَة لهُ قد اتَّخذَ بَداءَةً زمنية. ولم ينفصل عن لاهوته. فتقدّمه امُّهُ العذراء باختياره الى الهيكل الناموسي طفلاً ابن اربعين يوماً. فيقبلهُ الكاهن على ذراعيه. ويهتف هتاف العبد نحو السيّد قائلاً:اطلقني يا سيّد لانَّ عينَيَّ قد ابصرتا خلاصك. فيا مَن اتى الى العالم ليخلّص جنس البشر. يا ربُّ المجد لك» .

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسنيّو العبادة

اليوم بنعمة الروح القدس . وصلنا الى هذا المكان المقدّس، أي الى مكان دفن القديس والصدّيق سمعان الشيخ حامل الإله، لنقيم تذكاره المقدّس، من خلال تَقْدمة ذبيحة التسبيح الى الثالوث القدوس المحيي.

إنّ القديس والصدّيق سمعان، يدعى حامل الإله ، لأنّه حمل على ذراعيه الكلمة الذي لا بداءَة له (كلمة اللّه الآب)، ربّنا يسوع المسيح الذي وُلِدَ في الزّمان من دماء الطاهرة العذراء مريم. هو: (الكلمة الذي لا بداءَة له كلمة اللّه الآب) الذي اصبح ابن الإنسان ، بقوّة الروح القدس ومن العذراء الدائمة البتولية مريم ، هو: الربّ لمجد وخلاص العالم، هو الربّ الذي عاينه أشعياء النبيّ القائل: «انّي رأيتُ الربّ جالساً على عرشٍ عالٍ رفيع، والبيت مملوءٌ من مجده» (أشعياء ٦:١).

هذا الحدَث الفريد ، أَلْـهَمَ القديس قزماس المرنّم ليكتب وينظّم هذه الكتافاسيّا: «لما رأى اشعياء على سبيل الرمز الإله على عرش عالٍ يحتفّ به ملائكته المجد. هتف قائلاً: ويحي أنا التعيس فأنّي سبقْتُ فرأيتُ الإله متجسداً. وهو سيّد السلام والنّور الذي لا يَغرُب».

كلمة اللّه المتجسّد والمتأنّس ، الذي هو الربّ الذي لا يَغرب نوره ، وسيّد السلام، قُدِّمَ كَطفل ابن أربعين يوماً باختياره ، من أمّه العذراء الدائمة البتولية مريمَ ، الى الهيكل الناموسي حسب الناموس وحرفيّته.

اليوم يصرخ مرنّم الكنيسة: «المخلص، كطفل قُدِّمَ الى هيكل الربّ ، ليتقبّله على ذراعيه الصدّيق سمعان الشيخ».

المرنّم يقول أيضاً: «إنّ المسيح الذي عاينة قديماً أشعياء النبيّ "جمرةٌ في الملقط مأخوذٌ من المذبح الألهي" هو اليوم يُأخَذُ باختياره من يدي العذراء الطاهرة ليوضَع على ذراعيّ الشيخ سمعان القابل الإله».

ويشهد القديس لوقا الإنجيلي على لسان الشيخ سمعان القائل : «الآن تُطلق عبدك يا سيّد حسب قولك بسلام ، لأنّ عينَيّ قد أبصرتا خلاصك الذي اعددته قدّام وجه جميع الشعوب. نورَ إعلان للأمم ، ومجداً لشعبك إسرائيل» (لوقا٢:٢٩-٣٢).

إن الإنجيليّ لوقا ، ومرنّم الكنيسة ، يهتمان بإعلان الكلمتين: **(اليوم) ، (الآن)** إهتماماً كبيراً ليُظْهرا بإيضاح: أنّ كلمة اللّه المتأنس ربّنا يسوع المسيح هو: (خلاص العالم) ، (نور العالم) ،(ومجد شعبه ، أي الأعضاء في جسد كنيسته).

بكلام آخر: يُقَدَّم المسيح الى ذراعيّ جميع الناس الذين هم مستعدّون أنْ يستقبلوه ، وينظروه ، ويلامسوه. هلمّوا لنرى ما يقوله المفسرين المميّزين: في الكنيسة المقدسة: «المسيح هو نور الأمم لأنه شاء أن ينير بتعاليمه جميع الذين يمكثون في ديجور الظلمة ، والآن، اللّه الآب يستقبل هؤلاء الذين من الأمم ليعطيهم معاهدة السلام، أي الخلاص من خلال الإيمان بالمسيح يسوع».

وحسب القديس كيرللس: «أصبح المسيح نوراً لأولئك الموجودين في الظلمة ، وتحت نير عبوديّة الغشّ ، والساقطين تحت اليد الشيطانيّة».

المسيح أيها الأحباء هو نورٌ ،وهذا النور غير مُستقصَى ، وغير مُدرك، ولا يمكن سبر أغواره ، وفهم مكنوناته ، طالما لم يُدرك أحدٌ ، ومن خلال الخبرة ما هو الفكر المظلم ، ما هي الأحزان ، وما هي خيبة الأمل.

نور المسيح هو الذي يُحلّ الظُّلّم ، وينير كل الأمم ، كما يشهد بذلك النبي أشعياء. «... فقد جَعلتُكَ نوراً للأمم ، لتكون خلاصي الى أقصى الأرض» (أشعياء ٤٩:٦). هذه الكلمات النبويّة تتوافق مع أقوال ربّنا يسوع المسيح: «أنا قد جئتُ نوراً الى العالم، حتى كلُّ من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة» (يوحنا ١٢:٤٦).

التذكار الإحتفالي للقديس والصدّيق سمعان قابل الإله يعتبر وبشكل حقيقيّ إمتداداً **لعيد دخول ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الى الهيكل**، هذا التذكار يدعونا (اليوم) و (الآن) أي في هذا

الوقت الحالي ، أن نلتقي مع المسيح ، تماماً كما يقول المرنّم: « هلمّوا نلتَقِ نحنُ أيضاً المسيح الذي أبصَرَ سمعان خلاصَهُ. فنستقبله بالأناشيد الإلهيّة. هذا هو الذي أخبر داود عنه. هذا هو الناطق بالأنبياء. الذي تجسّد لاجلنا وقد نطق بالشريعة فلنسجدنّ لهُ».

إنّه الدخول للهيكل، أي اللقاء بربنا ومخلصنا يسوع المسيح لنتذوّق مُسبَقاً ، ومن خلال مشاركتنا بالسرّ العظيم الإفخارستيّا الإلهيّة ، أي سرّ الشكر، فلكي نحقّق الفوز والنجاح في هذا اللقاء الفريد، علينا أولاً أن نعطي الطعام للجياع ، واللباس للعراة وكل ما قاله ربّنا يسوع المسيح بدون استثناء... «لأنّي جعتُ فأطعمتموني، عطشتُ فسقيتموني ، كنتُ غريباً فآويتموني ، عرياناً فكسوتموني ، مريضاً فزرتموني ، محبوساً فأتيتم إليَّ» (متى ٢٥ : ٣٥).

هلمّوا نحن أيضاً أيها الأخوة الأحباء: لنبادرَنَّ الى والدة الإله، لأنّ رغبتنا شديدة في معاينة ابنها يُقَدَّم الى سمعان ، ومع المرنّم لنقول: «ايها المسيح الأله. يا من ارتضى بان يُضجَع في هذا اليوم على ذراعَي الشيخ كأنّه على مركبة الشاروبيم. اعتقنا نحن مسبّحيك من عبودية الاهواء. ونجّنا منها. وخلّص نفوسنا ، واعطنا السلام العادل والدائم في منطقتنا .» آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

لمحة عن القديس اندراوس الكريتي

القديس اندراوس الكريتي

حياته:

كان احد المؤلفين الأخيرين للقوانين الكنسيّة الشهيرة.

وُلِدَ في مدينة دمشق حوالي سنة ٦٦٠م . هذه المدينة التي أعطت مرنّمَين كباراً الى الكنيسة وأشهرهم القديس يوحنا الدمشقي.

دخل الى دير القديس سابا في منطقة أورشليم ـ ولهذا يرد لقبه أحياناً «أورشليمي» ـ وكان ذلك في الخامسة عشر عن عمره تقريباً. وفي سنة ٦٨٥م. غادر الدير الى القسطنطينية مُرسَلاً من قبَل البطريركية الأورشليمية مع راهبين آخرين ليُعْلِمُوا **الإمبراطور قسطنطين نوغوناتو** بقبول الإكليروس الأورَشليمي بمقررات المجمع المسكوني السادس ٦٨١ ضدّ بدعة المشيئة الواحدة ؛ بَقِيَ في القسطنطينية حيثُ رُسِمَ شمّاساً وكان يخدم في كنيسة آجيا صوفيّا. وفي القسطنطينية اشتهر باهتمامه بخدمة الأيتام وتربيتهم الى ان انتُخِبَ مطراناً على مدينة غورتينا قاعدة جزيرة كريت. ومن هنا لقبه «الكريتي» وفي الكُتب القديمة «الإقريطشي».

وحدث ان اغتصَبَ **فيليبكوس بردنيس** العرش، وهو من اتباع المشيئة الواحدة، فدعا الى مجمع انعقد في القسطنطينية في **العام ٧١٢م**، وبناءً على أوامر المغتصب شجب هذا **المجمعُ** المجمَعَ السادس وأعاد البدعة. أمّا اندراوس فبسبب نعومة طبعه واعتداله لم يستطع ان يقف امام ضغط الإمبراطور **فوقّع** مع أغلبية الاكليريكيين. وفي السنة التالية سَقَطَ المغتصب فعاد الى تأييد المجمع المسكوني السادس. وبعدها **قاوم بقوّة الإمبراطور لاون الإيسفري محارب الأيقونات**.

اظهَرَ الأسقف اندراوس نشاطاً كبيراً في ابرشيته في كريت وقد سافر الى القسطنطينية في شيخوخته لأمور تتعلّق بالأبرشيّة. وبعد عودته مات في جزيرة ميتيليني سنة ٧٤٠م.

مؤلفاته:

اشتهر بخطابته. عالج مواضيع أخلاقية بكلام غني وبأسلوب خطابي رائع. اعطى مواعظ عديدة تتعلّق بالأعياد وبقدّيسين كبار ، بقي منها ثلاثون.

منذ ذلك الحين تحدّدت الأعياد الكنسيّة في روما الجديدة من أعياد سيّديّة وآحاد واعياد قديسين كبار والشهداء الأبرار.

كما بقي أيضاً حوالي مئة قانون وعدد كبير من الطروباريات. وقد وصل شعره الى اوجه في وصفه لخطيئة الإنسان وتوبته. كان قويّ التعلّق بسيدتنا والدة الإله على ما يبدو من مواعظه في أعيادها.انما أشهر مؤلفاته الشعرية وغير الشعرية هو **قانون التوبة أو القانون الكبير**.

القانون الكبير:

يتألّف القانون الكبير من ٢٦١ طروبارية وهو أطول القوانين. وهو النموذج الأفضل لشعره. بتعابير مؤثرة ومتنوّعة يقدّم القديس الشاعر **صورة الإنسان المعذّب من جراء خطيئته**.

«من أين ابتدىء أنوح على أفعال عمري الشقي ؟ وأيما ابتداء اضعه ايها المسيح للمناحة الحاضرة ؟».

والنوح هذا ينتهي برجاء الخلاص ويتوقف عندما يتحوّل هذا الرجاء الى يقين:

«انتَ هو يسوع الحلو، انت هو جابلي، وبك يا مخلّص اتبرّر» (الجزء الأول ـ الأوذية الثالثة).

هذا هو القانون يُتلَى على أربع مراحل، على غرار المديح الذي لا يُجلَس فيه، وذلك في الايام الأربعة الأولى من الصوم الكبير. ويُتلى دفعةً واحدة يوم خميس التوبة في الأسبوع الخامس من الصوم.

المرجع الرئيسي: كتاب الآباء للأستاذ خريستو بنايوتو.

أحد الفريسي والعشار

التكبّر والتواضع

عظة للقديس أندراوس الكريتي

مقدّمة: التكبّر والتواضع:

مثل الفريسيّ والعشّار هو بمثابة تدريب سابق وتهيئة للذين يُريدون إقتناء **التواضع المقدّس** الذي هو أساس كل الفضائل ، هذه الفضائل التي بها يتوطّد بناء بيت ملكوت السموات ، وللذين يُريدون أن يهربوا من **التكبّر الممقوت من اللّه** ، هذا التكبّر الذي يُبعد الإنسان عن كلّ الفضائل المسيحيّة. مَن الذي لا يحسد عودة العشّار وتوبته ولا يُبغض أيضاً كبرياء الفريسي ، خصوصاً وأنّ **التواضع** مُرتبط **بالمسيح** بينما **التكبّر** مرتبط **بالشيّطان** المتباهي والكلّي الكبرياء.

لقد جَعَل **التكبّر من لوسيفورس المتقدّم في الملائكة شيطاناً**. التكبُّر هو الذي طَرَدَ آدم جدّنا الأوّل من الفردوس ، «حَطَّ المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين» ، «الربّ يُقاوم المتكبّرين الرب يُعطي نعمته للمتواضعين» ، هذا التكبّر هو الذي أسقَطَ فرعون ، «قال الجاهل في قلبه ليس إله». هو الذي قضى على نبوخذ نصّر ، «للربّ إلهك تسجد وإيّاه وحْدَهُ تعبُد». «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً» الواحد يصيبه المرض ثمّ يعبر عنه ، والآخر يُصبح عنده الهوي عادةً ثانية. الحقيقة أنّ الكبرياء مرض يُصيب حوّاس المريض وضربة مُخيفة تدفع الإنسان إلى الهلاك.

«مَن يصعد إلى جبل الربّ؟ الطاهر اليدين والنقيّ القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل» (مزمور٢٣). هكذا كانت جهالة صور وتكبّرها ، فهي طردت ندى النعمة فأصبحت أرضاً يابسة. وتعلمون هذا جيّداً ممّا سمعتم من أقوال ومن خبرتكم الخاصّة: **المتكبّر لا يشعر بحاجة إلى نعمَة اللّه التي تكمّل (كلّ ضعف)**. لذلك هو قاس وجاف. تنقصه الحرارة المحيية والرطوبة المُنعشة. فيه يصنع الشيطان عشّه كما في شجرة يابسة.

بكلمة واحدة التواضع هو غذاء الجمال المسيحيّ. هو أساس التقوى ومبدأها وهدفها. هو نقض الأهواء وصيانة الندى في جذور الإيمان. التواضع يتلازم مع مخافة اللّه التي تطرد الإثم كما قال إرمياء وسليمان ، لأنّ : «بدء الحكمة مخافة الربّ». يجعل التواضع من العشّار كارزاً بالرّوح بينما يجعل التكبّر من الفريسيّ صنجاً يرنّ باطلاً. حقّاً إنّ المرائي هو مثل رمّانة صدوم ، هو بطيخ جمَيل من الخارج إلاّ أنّه عفنٌ وبغير طَعم من الداخل.

كان القديس إسحق السرياني يقول: «إنّي أخاف أن أتكلّم عن التواضع كأنّي أتكلّم عن اللّه نفسه».

ويشبّه القدّيس دوروثاوس المحبّة بسقف البيت لأنّها تاج الفضائل ، أمّا التواضع فيشبّهه بالسور لأنّه يصون كل فضيلة بمرافقته إيّاها.

مثل الفريّسي والعشّار:

صَعدَ العشّار إلى الهيكل ، صعد بالجسد والنفس. كما صَعدَ الفريسيّ أيضاً إلى الهيكل بالجسد والنفس. الأوّل صعد ونفسه نازلة مع تواضعه ، والآخر نزل لأنّ نفسه كانت مُتعالية مع تكبّره. الأوّل كان يصعد على درجات داود ويتبع الطريق الذي يقود إلى الفردوس ، والآخر كان يسير نازلاً في الطريق الذي يؤدّي إلى لوسيفورس رئيس الكبرياء. الأوّل صَعدَ على سُلّم الفضيلة ، بينما سقَطَ الآخر من الفضيلة واقترب من الشَرور.

كثيرون يدخلون الهيكل ، ولكن قليلون هم الذين يشتركون فيه لأنّهم غير مستحقّين لبيت اللّه. **المتكبّر لا يبقى في جوّ المحبّة**. وكل من لا يبقى في جوّ المحبّة لا يبقى في حضن اللّه كما يقول يوحنا الإنجيليّ. أمّا كل من يبقى في المحبّة فيسكن في اللّه واللّه فيه، ويكون هيكلاً للّه كما يقول بولس الرسول. الذين يدخلون في هيكل اللّه هم الذين يعمل اللّه فيهم.. وينير اللّه فقط الأطفال والصغار كما يقول داود. «حيثُ يكون المتواضع هناك توجد الحكمة» كما يقول سليمان. الحكمة من جهة الإيمان ومن جهة العمل.

كانت الحكمة ناقصةً عند الفريّسي. لذلك وهو مرائي يشكر اللّه ظاهرياً فقط. أمّا في الداخل فهو ناكرٌ لنعمته.لا يحفظ الوصيّة : «أحبب قريبك كنفسك» كلمته «**أشكرك**» تبدو حسنة كونه لم ينسب الفضيلة إلى نفسه ، كما كان يعتقد نبوخذ نصّر وسيماس وبطرس. إنّ لوسيفوريوس وآدم وقعا في مثل هذا التكبّر. كان الفريسيّ يفتخر بما ليس عنده فعلاً ، لأنّه وإن كان يملك شيئاً فهو خاسره بسبب كبريائه.

ينبغي للذي يملك شيئاً أن يعترف بأنّ ليس لديه أيّ شيء. وينبغي له أن يقول: «أنا عبدٌ بطّال» لأنّه «لن يتبرّر أمامك أيّ حيّ».

من لا يتواضع يدوس المحبّة ، ومن لا يحبّ يزدري. **حقّاً أن الكبرياء مصدر كلّ خطيئة**. يأتي بعده الحسد ، وبعد الحسد القتل ، بسبب الكبرياء ، رأى أبشالوم الملك داود أباه عدواً وسعَى إلى قتله (٢ مل ١٥). العدوّ الخفيّ أخطر من العدوّ الظاهر ، ولا يختلف عن الشيطان الذي بشكل حيّة ضَحكَ من المجبول أوّلاً . لذلك فإنّ الخاطىء المُعلَن يُبَرّر ، أمّا الخاطىء المتخفّي فيُدان . الأوّل يُلام لفعله السيّء ، أمّا الآخر فلا يزال يملك الكذب والباطلَ ، ولذلك أُبعِدَ عن التبرير الإلهيّ.

المختار يُحدَّدُ من خلال محبّته كما يقول بطرس الرسول في رسالته الأولى وكما يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس ورسالته إلى أهل كولسّي. أمّا الحقد فهو مشجوب بالكليّة.

أدرك العشّار خطيئته فَغُفِرَت له وتحرّر منها ، لذلك يحيا كما يقول النبيّ حزقيال. هي الحياة التي ربحها داود كما كان يقول ناتان ، **أمّا الفريسيّ فلم يُدرْك خطيئته ولذلك بقي بعيداً عن الحياة**.

لننتبه جيّداً مرّةً أخرى لما وردَ في الإنجيل: «إنسانان صَعدا إلى الهيكل ليصليّا الواحد فريّسي والآخر عشّار» (لو١٨: ١٠). الفريّسي نموذج للأشخاص الذين يبرِّرُون أنفسهم ويحتقرون الخاطئين ، نموذج للمتكبّرين ، هكذا أراده الربّ. واستعان الربّ بالعشّار لكي يكون نموذجاً للخاطئين التائبين ، الذين يصلّون ويعترفون بقلب منسحق بالكليّة، وذلك لكي يعلّم الجميع أن يكرهوا الكبرياء ويحبّوا التواضع. ويبيّن المسيح جليّاً في هذا المثل أن البرّ (أو العدل) فضيلة كبيرةٌ تقرّب الإنسان من اللّه. ولكن عندما يرافقه الكبرياء يقودُ الإنسان إلى القعر: هذا ما حصل مع الفريسيّ ولذلك أُدين وسَقَطَ في الهلاك. **الظلم والخطيئة منبوذان** ومُزدرى بهما ويُبعدان الإنسان عن اللّه أكثر من أيّ شرّ. أمّا التواضع فهو يبرّر الإنسان بالتوبة والإعتراف ويجعله مستحقّاً للخلاص ويقرّبه من اللّه: هذا ما حصلَ عليه العشّار. لذلك بُرِّرَ وأصبح جديراً بالخلاص.

«أشكرك يا إلهي ...» (لوقا ١٨: ١١):

وقفَ الفرّيسي يصلّي في نفسه هكذا: «أشكرك يا إلهي لأني لستُ كسائر الناس الخطفة الظالمين». يا له من كبرياء ! هذا يمقته الربّ وكذلك النبي أشعيا لانه يقود الى مصر، فيه وقاحة فرعون وظلمة مصر. فيه ضياع للذاكرة كما جاء في مزمور داود. يا له من فم محبّ للإدانة كما جاء في الفصل السادس من سفر الأمثال (ستّة يبغضها الربّ). يقول الفريّسي أيضاً: «لستُ كسائر الناس الخطفة الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشّار» يبدو أن الاحتقار هو مبدأ الكبرياء، والذي يحتقر الآخرين ويعتبرهم، كلا شيء، حتى وإن كانوا فقراء، أو أميين أو تافهين أو ظالمين أو خاطفين، يصل في النهاية الى ان يعتبر نفسه وحده حكيماً وعاقلاً وشريفاً وغنيّاً ومقتدراً وعادلاً وفوق كل الناس.

الإحتقار مبدأ الكبرياء كما أن الكبرياء ثمر الإحتقار الرديء. لذلك سوف يجلب يوم الربّ الشهير الحُكم على كلِّ محتَقِر ومتكبّر، لأن مثل هذه الخطايا بهذا الشكل سوفَ تُعاقَب.

تبَيَّن من مظهر الفرّيسي وموقفه أنه كان مكتفياً بذاته ومتكبّراً مع أن أقواله في البداية كانت أقوال شكر واعتراف بالجميل. كان يقول في البداية: «أشكرك يا إلهي» وبعدها أخذ يتكبّر ويتعظّم، لماذا؟ لما لم يَقُل: أنتَ يا ربّ الذي جبلتني وبمعونتك أتحرّر من كل ظلم ومن كل خطف أو أي سوء آخر. وقد قيل لنا:«ماذا تملك أنت ممّا لم تأخذه». لقد اعتبر الفرّيسّي أن كل ما حصل عليه هو إنجاز من قدرته الخاصّة. ليعلم الإنسان، أي انسان، أنه بدون معونة اللّه لا يملك القدرة على تحقيق أي شيء صالح:«بدوني ، يقول الربّ، لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً». ويقول النبي:«إن لم يبنِ الربّ البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون». ويقول الرسول:«لا بالذي يريد ولا بالذي يتعب بل بقدرة اللّه الذي يرحمنا» وبتعبير آخر:«لا انا بل نعمة اللّه التي معي»،وفي مكان آخر:«اللّه هو الذي يحرّك فينا الإرادة والقوّة».

لذلك بينما كان العشّار كمثل حديقة مرويّة بالمياه الروحيّة، كذلك كان الفرّيسي سنديانة عارية من الأوراق كما يقول أشعيا وسليمان. لأنه وإن كنّا نتحلّى بحريّة الإرادة إلاّ انه بدون تحالفنا مع اللّه ، لا نستطيع أن نحقّق أي عمل بشجاعة في حياتنا. أنا أعلم أنّ طريق الانسان لا ترتبط به وحده، ولا يستطيع وحده أن يصل الى نهايتها. فلا نَنْسُبَنَ اذاً لأنفسنا نتائج جهاداتنا. إلينا يعود الاختيار، اختيار الأفضل، والجهاد من اجل تحقيقه، **ولكن اللّه هو الذي يقود الإنسان في رغبته الى النهاية**. لأن الانسان لا يملك من طبيعته الإمكانيّة لتحقيق مثل هذه الرغبة الصالحة، بل انّه يستمدّ من النعمة الإلهيّة إمكانية القول: «**إنّي أستطيع**». كل ما عدا ذلك فهو تبجّح وافتخار وادّعاء. لأنه قيل لنا: «ماذا تملك ممّا لم تأخذه، وإن أخذته لماذا تدّعي وتفتخر وكأنك لم تأخذه من آخر» ؟

«أصوم مرّتين ...» (لوقا ١٨: ١١):

«أصوم مرّتين في الأسبوع وأعشّر كلَ ما هو لي».كان الفرّيسي قد اتهم الآخرين مع العشّار بالزنى، ولكنه يقابل ذلك بالتباهي بالصوم. ونعلم ان **الرفاهية تقود الى الدعارة** والشبع الى الإحتقار . كان الفرّيسي بسبب تعذيب جسده بالصوم يفتخر بتباعده عن هذه الأهواء. ونعلم أيضاً ان الفرّيسين يصومون مرّتين في الأسبوع: الإثنين والخميس. (دون أن يكون ذلك مفروضاً من الناموس، كما ان دفع الأعشار كان يُطال فقط المنتوجات الزراعية). (تثنية ١٤: ٢٢-٢٣).

هكذا فإنه مقابل «**الخاطفين والظالمين**» كان الفرّيسي يقول: «إنّي أُعطي عشر أموالي». افتخاره ومقاومته للخَطف والظلم كان في إعطائه الآخرين ممّا كان يملك. كان اليهود يعطون عشر ما يملكون وبعدها يعطون الثلث. هكذا يصلون الى توزيع ثلث ثروتهم تقريباً. وكانوا يعطون بواكيرهم والكثير من مواردهم من أجل خطاياهم، منها للتطهير ومنها للأعياد ومنها لتخفيف الديون ومنها لتحرير العبيد. وكانت الديون معفاة من الفائدة. كل ذلك إن أخذناه بعين الإعتبار يبيّن ان لا شيء يستدعي للإفتخار والتكبّر. والإنجيل نفسه يقول: «إن لم يفقْ برّكم برّ الكتبة والفرّيسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات» (متى ٥: ٢٠).

«أللهم ارحمني أنا الخاطىء» (لوقا ١٨: ١٣):

«أمّا العشّار فكان قائماً من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه إلى

السماء، بل كان يقرع صدره ويقول: اللّهم ارحمني أنا الخاطىء. اقول لكم إن هذا نزل الى بيته مبرّراً دون ذاك. لأن كل مَن يرفع نفسه يتّضع وكل مَن وَضع نفسَه يرتفع».

كان العشّار يصلّي. لم تكن لديه أعمالٌ صالحة يعدّدها كما فعل الفرّيسي، لكنه كان يقرع صدره، وقلبه يهتزّ بانسحاق وتوبة : «اللّهم ارحمني انا الخاطىء» لذلك تحنن عليه الربّ الرحيم والرؤوف ، لأن التواضع يلقي جانباً، كلّ الخطايا، بينما يلغي التكبُّر كل الفضائل لأنه أكبر وأثقل من كل خطيئة وسوء. من الأفضل أن نتوب بعد كل خطيئة ونتواضع من ان نعمل ما هو صالح ونفتخر به. لقد نزع العشّار عنه لباس الخطايا عندما تقبّل اتّهام الفرّيسي بوداعة وصبر، أمّا الفرّيسي فقد سقط من المجد الى قعر الاثم لأنه برّر نفسه وأدان العشّار والآخرين. عاد العشّار من حياة الفساد والخطيئة الى حياة مغبوطة، أمّا الفرّيسي فقد تظاهر بالتواضع بسبب أنانيته وكبريائه.

المطلوب منّا:

يُطلب منّا شيئان: أن نُدين خطايانا وان نسامح خطايا الآخرين، لأن الذي يرى خطاياه يُصبح اكثر تسامحاً تجاه الآخرين، والذي يَحْكُم على الآخرين يُدين نفسَه ويُحْكَم عليه حتى ولو كانت له فضائل كثيرة. انه بالحقيقة لأمرٌ عظيم، يا إخوة، أن لا نُدين الآخرين بل نُدين أنفسنا. لكننا غالباً ما نغضّ الطَرف عن خطايانا، وندين الآخرين، ونفحص خطاياهم، ولا نعلم إن كُنّا أكثر صلاحاً منهم. عندما نُدين الآخرين نُصبح بدورنا مذنبين ونستحق عند ذلك العقاب نفسه وجهنّم: «بالكيل الذي تدينون فيه تُدانون» (متى ٧:٢). الذي يزني ينقض الوصية كذلك الذي يُدين الزاني.اثنان هما اللذان تعدّيا الوصية الإلهية: الزاني والذي يدينه.

لنلتفتْ إذاً الى أنفسنا، أيها الأحباء! إن رأينا احداً يخطىء فلننظر الى خطايانا ولنحسبها اكبر من خطايا الآخرين، لأن الذي خطىء ربما تاب عند السقطة بينما لا نزال نحن على اعوجاجنا ودينونتنا للآخرين. إن لوطاً، وإن سكن صدوم، إلاّ انه لم يَدن أحداً ولم يحكم على أحد، لذلك بُرِّرَ ونجا من النّار والهلاك الشامل الذي وقع على أهل صدوم. ولنحكم بكل تواضع على أنفسنا حتى نُرفع بلا دينونة الى السماء. لنَسعَ وراء التواضع لأن به حُكِمَ على الفرّيسي فخسر الفضائل التي كانت لديه.

الفرّيسي يُدان لأنه عمل عملاً حسناً ولكن بطريقة غير حسنة. ويُبَرّر العشّار لأنه نزَعَ عن نفسه الأعمال غير الحسنة بطريقة حسنة. نظر اللّه الى تنهّدات العشّار وانسحاقه وضرباته على صدره، وبعد تقبّله (طاعة اللّه) طَلَبَ الرحمة، جعله مع هابيل البّار بينما ازدرى بتضحيات الفرّيسي وبفضائله وبإنجازاته وبافتخاره وبكبريائه. ولذلك حُكِمَ عليه كما على قايين قاتل أخيه هابيل.

فلنتعلّم، أيها الأخوة ولنعلّم ولنأت بانجازات كبيرة. ولا نفتخرنّ حتى ولو أصبحنا صالحين وأبرار ومسامحين وعطوفين ورحماء. بل على العكس لنتواضع دون أن نفتخر بأنفسنا ونتكبّر حتى لا نخسر عَرَقنا وتعبنا، لأنه يقول: «عندما تفعلون كل هذا قولوا إنكم عبيد بطالون وما يتوجب علينا فعله، قد فعلناه» (لوقا ١٧:١٠). لا بدّ لنا أن نقدّم لإله الكل التواضع والصبر والخضوع والطاعة والإعتراف بالجميل والشُكر. لا بدّ ان نعظّم مشيئته الكليّة القداسة ونسجد لها ولا نهتمنّ باتهامات الآخرين واحتقارهم . لا نضطربنّ لكل هذه التجارب ولا نغضبنّ أمام اهتماماتها لأنها عند حصولها تجلب علينا الفائدة الكبيرة.

لنعلّم، أيها الأخوة، قوّة التواضع وعونه. ولندرك أيضاً إدانة التكبّر الرديء وهلاكه مثل ظلّ **بهيموت** في سفر أيوب وابتعاده عن طريق الحق وعن نور العدل.

التوبة خيرٌ كبير وكذلك الإعتراف والإنسحاق والدموع والتنهّدات من الأعماق والندم. لذلك رجائي أن تعترفوا باستمرار الى اللّه وتكشفوا عن خطاياكم، لأنه اذا كشفنا له عن ضميرنا وعن جراح نفوسنا دون ان نُدين الآخرين ونقسو عليهم بسبب إساءتهم إلينا وإهانتهم وظلمهم، عندئذ سوف يتحنّن الرب المحب البشر علينا ويمزج لنا ادوية العطف والرأفة ويضمّد جراحاتنا ويشفينا. لنبيّن له خطايانا لأنه لن يهيننا بل يشفينا، وان صَمَتنا نحن فهو يعرف كل شيء. لنذكر أيها الأخوة، خطايانا ولنعترف بها بصدق لكي نكتسب عطفه. لنرفضها لكي نتطهّر منها ونذهب الى الربّ ونُقاد الى ملكوته الأبدي ونرث المساكن المستقبلة غير الفاسدة والغذاء والسعادة التي لا نهاية لها.

لنعمل كل ذلك بمعونة المسيح إلهنا الذي له المجد والقوّة الى الأبد، آمين.

المراجع: مجموعة «مين» الآبائية الجزء ٩٧ الصفحات ١٢٥٦-١٢٦٨

في الأصوام التمانية

لأبينا القديس كسيانوس الرومي

١ ـ في السيطرة على البطن

سأتكلّم الآن في السيطرة على البطن، التي هي نقيض الشراهة ـ وكيف ينبغي ان نصوم، وماذا وكم ينبغي أن نأكل. ولن تكون الكلمات من عندي، بل هي كلّها ممّا اخذتُه عن الآباء القدّيسين. لم يُعطنا الآباء القديسون قاعدة واحدة تتعلّق بالصوم، او معياراً واحداً، او مقياساً واحداً يتناول مسألة الأكل، إذ ليس عند الجميع القدرة عينها، والعمر نفسه، المرض نفسه، وضُعف الجسد نفسه. هذه الأمور كلّها معاً من شأنها ان تُميط اللثام عن الفروقات التي بينهم.

بَيدَ أنّ الآباء القديسين، جميعهم، سَلَّمونا، لا بَل رسموا لنا هدفاً واحداً قائلين: «تجنّبوا كثرة الأطعمة، وامتلاء البطن والأحشاء» [١]. وقد عرفوا بالخبرة أنه من الأجدى، من أجل النقاوة الداخليّة، أن نأكل مرّة واحدة في اليوم لا مرّة واحدة كل ثلاثة أيام. فمن يطيل صومه، سيعود (لا محالة) ليأكل كثيراً، كما يقول الآباء القديسون. وبنتيجة الصيام الطويل، يضعف الجسد بسبب نقص الأطعمة، الأمر الذي يجعله يتراخى في رياضته الروحيّة. وفي مرات كثيرة يثقل من كثرة الأطعمة، الأمر الذي يحيل النفس كسولة وبليدة.

لقداختبر الآباء القديسون أنه ليس بمقدور الجميع أن يعيشوا على الخبز الجاف. فهناك ـ كما يقول الآباء القديسون ـ من يمكنه ان يتناول مقداراً من الخبز الجاف، ومع ذلك يبقى جائعاً. وهناك من يمكنه ان يتناول منه مقداراً اقل، ويكتفي به. وثمّة انسان يمكنه ان يتناول قدراً اقل، وأيضاً يكتفي. وكما قلت، فالآباء القديسون سلَّمونا قاعدة أساسيّة في ضبط النَفس مفادها التالي:

لا تُخدَعوا بامتلاء البطن. او، لا تُخدَعوا فتضلّوا بلذّة الأطعمة. ليس تنوّع الطعام هو الذي يَضرمُ نار الزنَى، فحسب، لأن للكمية التي نتناولها دوراً أيضاً. ومهما كان نوع الطعام الذي به نملأ البطن هو الذي يُولِّد بذار التهتّك والخلاعة. ليست كثرة الخمرة فحسب، هي التي تُلهب العقل، بل كثرة الماء ايضاً. لا بَل ان أي شيء آخر، يمكنه ان يُخَدِّر العقل ويطيشه. لقد هَلَكَ اهل صادوم، لا بسبب كثرة الخمرة التي احتسوها فحسب، ولا بسبب كثرة الأطعمة التي تناولوها فحسب، بل أيضاً كما يقول حزقيال النبي: «هذا كان إثم أختك سدوم، الكبرياء والشَّبَع من الخبز وسلام الإطمئنان ... » (حزقيال ١٦:٤٩).

بيد أنَّ أمراضَ [٢] الجَسَد ليست عائقاً أمام نقاوة القَلب، شريطة أن يُعطَى الجسد ما هو ضروري له في مرَضه، لا ما يُشبع رغبتنا إلى الملذّات. يجب أن يؤخَذ الطعام بمقدار مَا يجعله يسند حياتنا. والأكل باعتدال وتَعَقُّل، هو أن تبقى أجسادنا صحيحة معافاة، فلا تُحرَم من القداسة.

أما القاعدة الواضحة في ضبط النفس، وعلى نحو ما تعلّمناه من الآباء القديسين، فهي التالي: **توقّف عن الطعام وأنتَ ما تزال جائعاً**، ولا تتابع حتى الشَّبَع والإمتلاء. وعندما قال الرسول: «... لا تهتموا بأجسادكم لقضاء شهواتها» (رومية ١٣:١٤)، لم يكن يريد أن يمنعنا من إشباع حاجات الحياة (البيولوجية) ، بل كان ينذرنا ضدّ الإنغماس في ذلك، فإنّ الإمتناع عن الأطعمة، لا يُسهم في حَدِّ ذاته في اكتمال نقاوة النفس، إلا إذا كانت سائر الفَضائل الإلهيّة الأخرى فاعلة أيضاً. وعلى سبيل المثال، فالتواضع الذي نمارسه عبر الطاعة وبغية إتمام اعمالنا، وعبر النُّسك الجسدي، هو عونٌ كبير. وإذا تجنّبنا الطَمَع، ليس فقط في أن لا نمتلك مالاً، بل أيضاً في أن لا نريده، فهذا من شأنه أيضاً أن يقودنا إلى نقاوة النفس. الحريّة من الغَضَب، من الإكتئاب والغَمّ، ومن العجب بالذّات والكبرياء، من شأنها أيضاً أن تُسهم في نقاوة النفس. إلاّ أنّ ضَبط النفس والصّوم [٣] هما أمران مهمّان لأنهما يُولِّدان نقاوة النفس والإعتدال. إذ لا يستطيع مَن كان بطنُه ممتلئاً، أن يحارب شيطان الزنى. إنّ جهادنا الرئيس ينبغي أن يَنصَبّ على الفوز بضبط النَفس، والسيطرة على المعدة، وإخضاع الجسد، ليس بالصوم فقط، بل بالسهر أيضاً والعمل والمطالعات الروحيّة، وأيضاً عبر تركيز القلب على الخوف من الجحيم ، والإشتياق إلى ملكوت السموات.

---

١) «أنتَ يا من تصوم عن الأطعمة، إنتبه كي لا تنهش لحم أخيك» (القديس يوحنا الذهبي الفم). ٢) يستطيع المريض أيضاً أن يصوم وذلك عندما ينقطع عن خطاياه. الصوم الأول هو عن خطايانا. ولا تستطيع أن تصوم عن الأطعمة فقط، لأن هذا الصوم هو مجرّد ريجيم. ومع ذلك فالصحيح الجسم ينبغي أن يصوم ليس فقط عن خطاياه، بل عن الطعام أيضاً. ٣) الصوم عن الأطعمة يُولّد الراحة والنقاوة الداخلية والسلام. الشبعان لا يُفَكّر باللّه، ولا بالقريب. والكنيسة تُدخلنا تدريجيّاً في الصوم وذلك عبر الإنتقال من اللحم إلى البياض، ومع دخول الصوم نبدأ بتناول الأطعمة النباتية. وهذه النقلة من مرفع اللحم الى البياض إلى النباتي هي مدرسة مهمّة جداً.

الدينونة والمجيء الثاني المخوف

شرح عن أيقونة الدينونة الفريدة والمميزة الموجودة في كنيسة القديس جاورجيوس في اللاذقية ـ في سوريا

المجيء الثاني والدينونة الأخيرة في الإنجيل المقدس:

ترتكز هذه الأيقونة في ملامحها بشكل عام على النصوص الإنجيلية التالية التي تتحدث عن الدينونة الأخيرة: «وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه. ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء»(مر١٣: ٢٤-٢٧).

«ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ، كنت غريباً فآويتموني ، عرياناً فكسوتموني ، مريضاً فزرتموني ، محبوساً فأتيتم إليَّ ، فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك، ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك. فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. لأني جعت فلم تطعموني عطشت فلم تسقوني كنت غريباً فلم تأووني عرياناً فلم تكسوني مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم ايضاً قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك. فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب ابدي والأبرار إلى حياة أبدية»(مت٢٤: ٣١-٤٥).

وصف الأيقونة:

إنها أيقونة مستطيلة الشكل وهي تجمع مشاهد متعددة تدور كلها حول قضية الدينونة الأخيرة وكيف يجلس الديان على كرسي المجد محاطاً بملائكته وقديسيه ويُجري الدينونة الرهيبة. ولكن للأسف فقد جار الزمان على هذه الأيقونة وتآكل بعض أجزائها، والبعض الآخر قد تمزق، وهناك شبه اهتراء كامل للإطار السفلي للأيقونة، مما جعل قراءة تاريخها ومعرفة راسمها أمراً مستحيلاً تماماً.

إذا تمعّنا في الأيقونة من الأعلى إلى الأسفل بحسب تسلسل المشاهد نرى ما يلي:

في أعلى الأيقونة ومنتصفها يبدو المسيح له المجد، ابن الإنسان الآتي على السحاب في مجده ليجري الدينونة الأخيرة. وهناك ربوات من الملائكة تحيط به من كل جانب. وحوله توجد كتابة تقول:« يسوع المسيح ملك المجد ... يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء» (مر١٣: ٢٦-٢٧). يظهر المسيح فاتحاً ذراعيه ويتطلع نحو أمه البتول القديسة الواقفة أمامه وقفة الشفاعة والتوسل لأجل العالم، وفي ذات الوقت يلامس نهرُ النار الخارج من فم الجحيم السحابَ الذي يجلس عليه الرب يسوع.

إلى الأسفل قليلاً من الموضع الذي نرى السيد جالساً فيه نرى القديسة مريم والدة الإله تقف عن يمين ملك المجد، وفي مقابلها نرى القديس يوحنا المعمدان واقفاً عن يسار الرب وهما يتشفعان إلى الديان كي يرحم خليقته، ونرى بعض الملائكة ينتشرون بينهما.

ثم نرى مصف الرسل الاثني عشر تحوط بهم الملائكة وهم جالسون عن يمين رب المجد ويساره ليدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر كما سبق الرب فقال لهم حين كان معهم بالجسد على الأرض. «أنتم الذين ثبتم معي في تجاربي وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر» (لو٢٢: ٢٨-٣٠). ونشاهد تحت أقدام الرسل الاثني عشر كتابتان. الأولى من جهة اليمين نقرأ فيها القول السيِّدي:« تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم قبل....»، ومن جهة اليسار تقول الكتابة:«**اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة....**». وفي أسفل السحابة التي تحت قدمي السيّد، ودون الرسل القديسين هناك الجدّان الأوَّلان آدم وحواء وهما يحيطان بسفر مفتوح قد كُتبَ عليه:« لو لم آتي وأكلمهم لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم حجة في خطيئتهم». وبهذا تنقسم الأيقونة إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول هو مصف المباركون من اللّه ومصيرهم الفردوس والحياة الأبدية التي لا نهاية لها ، والقسم الثاني هو مصف الملعونون من جرّاء خطاياهم الكثيرة ومصيرهم هو الجحيم الأبدي مع الشيطان وملائكته حيث الظلمة الأبدية والنار التي لا تنطفىء والدود الذي لا يموت.

ثم نرى في مركز الأيقونة الميزان الذي توزن فيه أعمال كل إنسان، خيراً كانت أم شراً. تمسك يد تظهر من وراء الغمام بالميزان الذي تُوضع فيه أعمال كل إنسان تتم محاكمته. من جهة توضَع الأعمال الصالحة ومن الجهة الأخرى توضَع الأعمال السيئة التي اقترفها هذا الإنسان. ونشاهد تحت الميزان إنساناً عارياً يتم فحص أعماله، وهناك إلى جانبه الأيمن نشاهد **رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل** وهما يمسكان بأيديهما بحربتين يوجهانها إلى الشياطين الواقفة من على يسار الإنسان الذي تتم محاسبته.

فوق رأس هذا الإنسان من جهة اليمين نرى ملائكة تحاول الدفاع عنه وتمسك في يديها شهادة على أعماله الحسنة وفضائله تقول فيها **إنه إنسان رحيم ووديع وحكيم**، بينما على يسار الإنسان ومقابل الملائكة نجد شياطين تحمل اتهامات لهذا الإنسان تبرز فيها خطاياه وأهواءه الرئيسية فتقول **إنه إنسان مرائي وحاسد ويشتهي الغنى ومتعظِّم**. ويبدو الميزان فوق رأس هذا المُحَاكَم مائلاً نحو جهة الملائكة، أي أن أعماله الحسنة تفوق شروره، وهذا يعني أن مصيره هو الملكوت السماوي، وان لا خوف عليه من بعد من الذهاب إلى العذاب الأبدي.

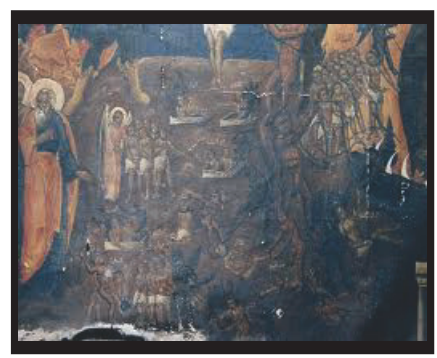

وفي الجهة السفلى من موضع محاكمة هذا الإنسان هناك قبور تُفتَح ويخرج منها الأموات، وهناك شياطين تمسك بهؤلاء الخارجين من القبور، وقد ثبت عليهم تهمة الوقوع في خطايا معينة. ولذلك نرى تسميات معينة فوق القبور تقول : **الكاذب الزواني، محبي الفضة، الخطأة. وتقوم الشياطين بتعذيب وجرِّ أناس آخرين مكتوب فوقهم: المتكبر، القاتل، محب المجد، الظالم، السارق، الناكرين للمسيح، المجدِّف.**

وفي ذات الوقت نرى بالقرب من هؤلاء ملاكاً يحمي عدة أشخاص مكتوب فوقهم كلمة التائبين.

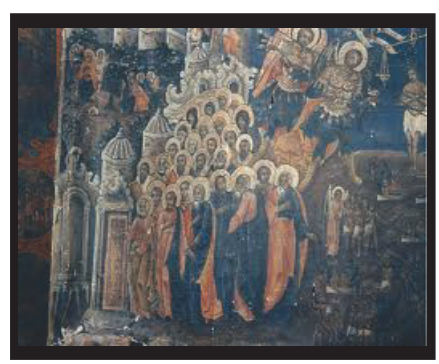

إلى جانب **رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل** يتجمهر محفل القديسين والقديسات خلف بعضهم البعض، ويتقدمهم الرسل الإثني عشر وعلى رأسهم القديس بطرس الرسول حاملاً مفاتيح ملكوت السماوات ويمد يده باتجاه باب الفردوس المغلق كناية عن شروعه في فتح باب الملكوت كي يدخل وراءه جميع القديسين. وجوه القديسين في المقدمة واضحة ثم تغيب وجوه من يأتي وراءهم لتظهر للناظر الهالات المقدسة المكتظة وراء بعضها البعض والمنتظرة الدخول إلى الملكوت المنتَظَر. يحيط بالفردوس سور كبير جداً تتوزع فيه القبب والأبنية المتعددة التي تشير إلى قول الرب يسوع: «في بيت أبي منازل كثيرة»(يو١٤:٢)، وتبدو لنا قامات القديسين ضخمة جداً تضاهي ارتفاع الأسوار كناية عن قامتهم الروحية العالية جداً. داخل الفردوس نستطيع رؤية **والدة الإله** وهي تتربع على عرش محاطة بالملائكة القديسين، ويبدو لنا أنها تنظر نحو الأسوار. وفي أحد أرجاء الفردوس المزدان بالأشجار، نرى البطاركة الثلاثة إبراهيم واسحق ويعقوب جالسين، يتوسطهم إبراهيم أبو الآباء ، اسحق عن يساره ويعقوب من عن يمينه، ونشاهد في حضن إبراهيم صورة نفس ترمز إلى نفوس الصديقين التي هي بين يدي اللّه فلا يمسها العذاب متمتعة بالطمأنينة والسلام السماويين.

ونستطيع أن نتبيَّن في الفردوس أيضاً صورة إنسان شبه عار يحمل صليباً وقد كُتبَ فوقه كلمة «**اللص**» أي اللص الذي دافعَ عن الرب يسوع عندَما كان معلقاً على الصليب وقال له الرب يسوع :«الحق أقول لك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو٢٣:٤٣).

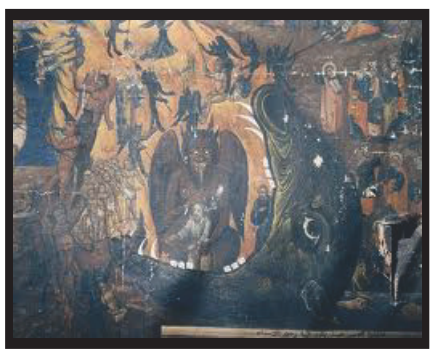

وأما الجحيم فنشاهده في الطرف الآخر من الأيقونة مصوراً على شكل نهر نار متأجج يظهر لهيبه متصاعداً بشكل مخيف من فم رأس حيوان هائل الحجم، يشبه شكل التنين، وتظهر في هذا الفم الوحشي الهائل أنياب حادة وأسنان ضخمة، وفي وسط هذا الفم المفتوح وبين ألسنة النار المتصاعدة نرى كلمة تشير إلى ماهية هذا الوحش هي: «**الجحيم**»، ونشاهد **إبليس جالساً** وهو يضع بين أحضانه **يهوذا الإسخريوطي**. شكل إبليس بشع جداً، يفتح فمه المليء بالأنياب ويخرج منه لهيب نار، ويبدو قرناه مع عينيه اللتين تقدحان شرراً.

في طرف فم التنين يظهر **سيمون الساحر** الذي هَلَكَ لأنه فَكَّر أن يقتني موهبة اللّه بالمال، وضمن لهيب النار الخارج من فم الجحيم الرهيب نرى الكثير من الشياطين المسلحين بالرماح بالإضافة إلى مجموعة من البشر مكتوب فوق رؤوسهم **آريوس وباقي الأراتقة**. كما نرى أيضاً مجموعة من الناس المقيدين بالسلاسل يسوقهم شيطان ويلقي بهم في الجحيم، وقد كُتبَ فوقهم كلمة «**الخطأة**». تقوم الشياطين بتعذيب الخطأة وضربهم، وتظهر بين اللهيب أعضاء بشر يتعذبون في الجحيم، فهنا ثمة رأس وهناك توجد يد أو عضو ما آخر، لأن الجحيم تغلي بالخطأة وهم لا يعرفون فيها مستقراً بل يكونون في عذاب دائم.

في المنطقة الواقعة خلف الجحيم نرى مشاهد متعددة. إذا تطلعنا من الأسفل إلى الأعلى نرى أسماكاً تقذف من أفواهها بشراً كانت قد ابتلعتهم، وحيواناً على اليابسة أيضاً يبصق من فيه يداً

بشرية، ويقف إلى جانبه ملاك ولكن للأسف لا نستطيع تبيُّن المشهد بسبب تمزق الأيقونة في هذا الموضع. في المنطقة التي تعلو هذا المشهد نرى إيليا النبي مع أخنوخ وهما يحاجّان **المسيح الدجال**، ثم إلى الأعلى منهما نرى شيطاناً وهو يسوق جماعة اليهود التي تتطلع نحو موسى النبي. إنهم لم يصدقوا موسى ولو صدقوه لآمنوا بالمسيح له المجد. ثم في الأعلى نرى على طرف الإطار جمهوراً من الشياطين تتجمع حول مجموعة من البشر العراة وهناك أيضاً عدة أشخاص يسقطون على الأرض في محاولة ظاهرة لاستمطار الرحمة الإلهية ويقف أمامهم شيطان مرعب وضخم.

ثم إلى الأمام منهم قليلاً يوجد ملاك يحمل في يده سفراً مفتوحاً يحاجج فيه العادمي الرحمة لقساوة قلوبهم، ويبدو خلف الملاك سحابة تحمل ملاكاً آخر مفتوح الجناحين.

في أسفل الأيقونة يوجد تصوير واضح لأمكنة العذاب في الجحيم وتأخذ شكل حجرات أربع تفصل بينها أعمدة، ونقرأ عنواناً مكتوباً فوقها يقول:«**عذابات الجحيم حيث يكون البكاء وصريف الأسنان**».في هذه الحجرات يوجد تقريباً منظر واحد. إذ نرى في موضع العذاب أناساً عراة يحيط بهم لهيب هائل، وتقوم الشياطين بوخزهم بالرماح العادية والمثلثة الرؤوس. يبدو العذاب قاسياً جداً فجميع المتواجدين في الجحيم يصرفون بأسنانهم بشكل واضح دلالة على الندامة المرّة، ويلاحظ المرء على جباه غالبيتهم نوعاً من ختم، كناية عن حملهم **ختم المسيح الدجال**.

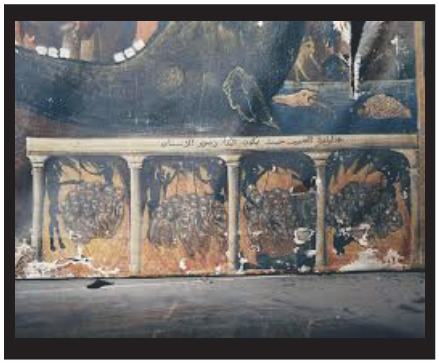

قنداق أحد الدينونة: إذا أتيت يا اللّه على الأرض بمجد ويرتعد منك الكل ونهر النار قدام الكرسي يجذب، والمصاحف تُفتَح والخفايا تُشهَر. في ذلك الحين نجّني من النار التي لا تُطفأ، واجعلني مستحقاً للوقوف عن يمينك أيها الديّان العادل.

تكاد أن تتوقف الدينونة على أعمال الرحمة، ولهذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

عندما ترى أحداً يُصبح غنيّاً دون إستحقاق فلا تغبّطه، ولا تظنّ أنّه يُحسَد على وَضعه، ولا تتحامل على العناية الإلهيّة ظانّاً أنّ هذه الأمور تحدث صدَفَة ودون هدف، بل تذكّر لعازر والغني.

فالغنيّ كان يملك أكثر مما يحتاج، بينما لعازر كان محروماً حتى من الضروريات، إلاّ أنه لم ييأس ولم يعاتب اللّه ولم يتذمّر على العناية الإلهيّة. رغم أنّ الكلاب كانت ترثو لحال لعازر المسكين وتعتني به دون أن تتوانى عن أن تلحس بلسانها جروحاته التي كانت تغطّي جسده بكامله، إلاّ أنّ ذلك الغنيّ القاسي العديم الإنسانيّة والأكثر شراسة من تلك الكلاب، فإنّه لم يكن يعطي حتى من فضلات مائدته لذلك المسكين لعازر.

أتكلّم دوماً ليس لأدين الغنيّ، إنما لأدين المختلس، فالغنيّ شيء والمختلس شيء آخر، فافصل بين الإثنين ولا تخلط بينهما. أأنتَ غنيّ ؟ لا أمنعك. **أتختلس** ؟ عندها أدينك. ألديك ممتلكات ؟ تمتّع بها، لكن إذا كنتَ تأخذ ما هو مُلك غيرك فلستُ قادراً على الصمّت. أتريد أن ترجمني ؟ فأنا جاهز، وحتى دمي أهدره، يكفيني فقط أن أردع خطيئتك، لا يهمّني حقدك، ولا تُرعبني المجادلة، أمرٌ واحدٌ فقط يهمّني، وهو خلاص الذين يسمعوني.

لا نظنّنّ أنّ الغنى هو الخير الأعظم، فالخير الأعظم ليس بالحصول على الأموال إنما باكتساب خوف اللّه.

لقد جعلك اللّه غنيّاً لكي تساعد الذين هم بحاجة، ولتنال بذلك المغفرة على خطاياك، ولأجل خلاص الآخرين. لم يهبك اللّه الأموال لكي تُغلق عليها في صناديقك لهلاكك، إنما لكي تنفقها لأجل خلاصك.

لا يجوز لنا أن نتساءل كيف قدّمَت الأرملة فلسين فقط، بل لنتأمل كيف لم تحزن عندما قدّمَت كلّ ما تملك، لقد قدّمت كلّ ممتلكاتها صدَقَة. هكذا فالإحسان لا يتطلّب منا أن يكون لدينا ممتلكات، إنما يكفي وجود الرغبة.

* **ليس المطلوب أن تقدّم القليل أو الكثير، إنما أن لا تقدّم أقلّ مما تستطيع.**
* **لا وجود لمحبّة اللّه دون محبّة القريب.**
* **إذا أراد المسيحيّ أن يشقّ الطريق المؤديّة إلى اللّه، فليس عليه إلاّ أن يمدّ يديه لمساعدة الفقراء.**

وأما أنتَ فمتى صنعتَ صَدَقَةً فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينُكَ،لكي تكونَ صدقتك في الخفاء. فأبوكَ الذي يَرى في الخفاءِ هوَ يجازيكَ علانيّةً (متى ٦:٣)

حـرٌّ إذا جئتَـهُ يومـاً تسـألـه
أعطـاكَ ما مَلَكت كفّاه واعتذرا
يخفي صنائعه واللّه يُظهرها
إنّ الجميـلَ اذا أخفـيته ظـهرا

لأني جعت فلم تطعموني عطشت فلم تسقوني كنت غريباً فلم تأووني عرياناً فلم تكسوني مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني. (مت٢٥:٣١-٤٥)

ابو هند نزلـتُ عنده يوماً ... فغَدَّاني برائحة الطعـام
وَقَـدَّمَ بيننا لحماً سميـناً ... أكلنـاه على طبـقِ الكلامِ
فكانَ كمن سَقَى الظمآنَ إلاَّ ... وكنتُ كمن تغدّى بالكلام

«قامت الملكة عن يمينك بثوب موشى بالذهب، مزينة بأنواع كثيرة» (مز٤٤:٩).

الآن هو يتكلم عن الكنيسة، يتكلم عن ما تعلمناه في النشيد أن الكنيسة هي حمامة المسيح الكاملة الوحيدة. «واحدةٌ هي حمامتي كاملتي» (نش٦:٩)، والتي تسمح لأولئك المعروفين بأعمالهم الحسنة بالوجود عن يمين المسيح، فاصلة إياهم من الأشرار، مثل الراعي الذي **يفصل الخراف عن الجداء**. لذا، الملكة أي النفس المرتبطة بالكلمة عريسها، الغير خاضعة للخطية بل المشتركة في ملكوت المسيح، تقف عن يمين المخلص بثوب موشى بالذهب، أي مُزينة نفسها بشكل بهيج وسَامٍ بالتعاليم الروحية المتنوعة والمنسوجة معاً. بما أن التعاليم ليست بسيطة، لكنها متنوعة ومتعددة، وتتضمن كلمات أخلاقية وطبيعية وباطنية، لذلك يدعو المزمور لباس العروس أنه مزين بأنواع كثيرة.

«اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أذنك وأنسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو ربك وله تسجدين» (مز٤٤ : ١٠-١١). هو يطلب من الكنيسة أن تسمع وتطيع الوصايا، وبمخاطبتها كأبنة ، يربطها بنفسه من خلال هذا اللقب، إذ أنه قد تبناها من خلال الحب.

«أسمعي يا ابنتي وأنظري» . بكلمة «أنظري» ، يُعلّم المزمور أن الملكة لها ذهن متدرب على التأمل. فيقول: راقبي بدقة الخليقة ومن خلال تأمل الترتيب والنظام فيها أرتفعي نحو تأمل الخالق.

وَبِثَنْيِ رقبتها العالية الفخورة، يقول «أميلي أذنك». لا تركضي نحو الروايات التي من خارج، بل أقبلي **الصوت المتواضع الذي للإنجيل**. أميلي أذنك لهذا التعليم حتى ما تنسي تلك العادات المفسدة، ودروس آبائك.

لذلك «أنسي شعبك وبيت أبيك»، «لأن كل من يفعل الخطية هو من إبليس» (١يو٣:٨). فيقول أتوسل إليك أن تطرحي عنك تعاليم الأرواح الشريرة، أنسي القرابين، والرقصات اللَيلية، والحكايات التي تُلهب شهوة الزنى، وكل شكل من أشكال الفسق. لهذا السبب قد دعوتك أبنتي الخاصة، لكي ما تكرهي الوالد الذي أنجبك قبلاً للهلاك.

وهكذا إذا محوت عيوب تعليمك السابق المفسد، وتزينت بجمالك الأصيل، سوف تظهرِي مرغوبة لعريسك وملكك. «لأنه هو ربك وله تسجدين». هو يُلمِّح بالحاجة إلى الخضوع من خلال عبارة: «هو ربك، وله تسجدين» ـ أي كلَ خليقةٍ. لذلك «تجثو باسم يسوع كل رُكبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض»(في٢:١٠).

«وبنت صور وأغنياء الشعب يستعطفون بالهدايا وجهك» (مز٤٤:١٢)، كانت عبادة الأصنام تُمارَس بإفراط في كنعان، وعاصمة كنعان هي صور، المزمور في حَثِّه الكنيسة على الطاعة يقول: «بنت صور وأغنياء الشعب يستعطفون بالهدايا وجهك». لم يقل «يستعطفونك بالهدايا»، بل قال «يستعطفون وجهك»، لأن الكنيسة َلا تُمجَّد بل الذي يُمجَّد هو المسيح رأس الكنيسة ، الذي يدعوه المزمور بكلمة «**وجه**».

«كل مجد ابنة الملك من الداخل، مشتملة بأطراف موشاة بالذهب متزينة بأشكال كثيرة. تدخل إلى الملك عذارى في أثرها» (مز ٤٤:١٣-١٤). بعد أن تطهرت من التعاليم الشريرة السابقة، وإنتبهت للوصايا، ونست شعبها وبيت أبيها، يسرد الروح القدس ما يخصها.

وبما أنه يرى النقاوة مخفية في أعماقها، يقول: «كل مجد أبنة الملك من الداخل»، أي مجد عروس المسيح ـ الذي صارت بالتبني أبنة الملك ـ «**من الداخل**». يحثنا هذا على تأمل الأسرار العميقة للمجد الكنسي، إذ أن جمال العروس باطني. إن ذاك الذي يجعل نفسه مستعداً للآب الذي يرى في الخفاء، والذي يصلي ويفعل كل شيء لا لكي يراه الناس بل لكي يكون معروفاً لله وحده (مت ٦)، هذا الشخص يكون كل مجده في باطنه، تماماً كأبنة الملك. والأطراف الموشاة بالذهب التي تكتسي وتتزين بها هي من الداخل.

لا تسعوا وراء الذهب الخارجي والزينة الجسمانية، لكن إهتموا بالثوب الجدير بتزيين النفس التي على حسب صورة الخالق. كما يقول الرسول: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كول ٣:٩-١٠). ذاك الذي لبس «أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة » (كو ٣)، قد إكتسى من الداخل وزيَّن الإنسان الداخلي. يحثنا بولس بأن نلبس الرب يسوع (رو١٣:١٤)، ليس بحسب الإنسان الخارجي، بل حتى ما يُغطي ذهننا بالكامل تذكّرنا الدائم للّه.

أنا أعتقد أن الثوب الروحي يُنسَّج عندما ينسج عمل الإنسان طبقاً لكلمة التعليم. وكما ينسج ثوب الجسد بتشابك الخيط بالنسيج، كذلك عندما تكون الكلمة المقدسة لها أسبقية، وإن كانت الأعمال متوافقة مع الكلمة، يتم صنع ثوب رائع جداً للنفس، التي تمتلك حياة الفضيلة، مُحققة فيها بالكلمة والعمل. والأطراف المتدلية من الثوب هي أيضاً زينة روحية، إذ أنه قيل أنها موشاة بالذهب.

بعض الأنفس، لكونهم لم يقبلوا بذور التعاليم الخاطئة، يتبعون عروس المسيح (الكنيسة)، وبكونهم يتبعون عروسه سوف ينقادون إلى الملك.

« لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ » (مت ٦:١٩)

فقال له اللّه:
يا غبيُّ !
هذه الليلة
تُطلَب نَفْسُكَ منْكَ ،
فهذه التي أعددتها
لِمَن تَكون ؟
هكذا الذي
يكنزُ لنفسه
وليس هو غنيّاً للّه.

للقديس يوحنا الذهبي الفم

وبعد أن أخرج السيد المسيح من نفوسنا مرض التفاخر والعُجب، نراه يبدأ في الوقت المناسب حديثه عن **الفقر الاختياري**. إذ أنه لا يوجد شئ يشجّع المرء على محبة المال أكثر من حب المجد الباطل. وفيما سبق اكتفى الربُّ بأن يوصينا أن نصنع الرحمة. أما هنا فبيّن لنا كيف تكون هذه الرحمة، بقوله: «لا تكنزوا لكم كنوزًا» وذلك لأنه لم يكن ممكنًا في بداية حديثه أن يُركّز الكلام كله دفعة واحدة حول ازدراء الثروات وذلك بسبب طغيان حب المال. لذا نراه يُجزّئ الحديث إلى مقاطع صغيرة، ويقدّمه قطرة قطرة للنفوس كي يصبح كلامه مقبولاً، لهذا فقد قال في البداية «طوبى للرحماء» (مت٥:٧). وبعد هذا «كن مراضيًا لخصمك» (مت٥:٢٥)، ثم أضاف: «من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك اترك له الرداء أيضًا» (مت٥:٤٠). وهنا ما هو أعظم بكثير، إذ لا يُفترض وجود خصم أو طرف آخر، بل إنه يريد أن يعلّمنا ازدراء الثروات نفسها ويوضّح لنا أنه يَسنّ هذه الشرائع لا من أجل الذين ينالون الصدقة **بل من أجل الذينَ يعطون الصدقة**.

وفي هذا الموقف أيضًا لم يَقُل السيّد كل ما أراد، بل تكلّم بلطف لأن الوقت لم يكن قد حان، وهو هنا يفحص الأفكار فقط، متخذًا موقف الناصح أكثر منه موقف المُشرّع من جهة أقواله حول هذا الموضوع. وبعد أن قال «لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض» أضاف: «حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ،وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ » (مت٦:١٩). حيث إنه يلمّح إلى الأمور التي يخافون منها بالأكثر، إذ يقول: مما تخاف؟ هل تخاف أن تنفد أموالك إن أنت تصدّقت بها؟ لا، إعط صدقة وتأكد أن أموالك لن تنفد، بل ستزداد بشكل عظيم حقًا، لأن الخيرات السماوية ستُضاف إليها. لقد شدَّ انتباههم بقوله لهم إن كنزهم لن يُنفق بل سيبقى هكذا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى جَذَبَ انتباههم إلى أمر آخر، إذ أنه لم يقل فقط: « سيحفظ كنزكم إن تصدقتم»، بل هدّد بالشيء المعاكس أيضًا، وهو أنه سيَفنى إن لم تتصدقوا... وكيف؟ أسيَفنى السوسُ الذهَب ؟ بالطبع لا، لكنهم اللصوص. وهل صار الجميع ضحايا للسرقة؟ إن لم يكن الجميع فعلى الأقل الأكثريّة منهم. ولهذا فإننا نجد الربّ ، وكما قلت سابقًا قد طرح أمرًا آخرً بقوله: «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا» (مت٦:٢١).

حتى ولو لم يحدث أي من هذه الأشياء، فإنك ستتعرّض لأذى ليس بالقليل لأنك قد وضَعتَ كل اهتمامك في الأشياء السفلّية، وصرت عبدًا بعد أن كنت حُرًا، ولأنك نحيّت جانبًا الأمور السماوية، وأصبحت غير قادر على أن تدرك أي شيء منها، وصار كل تفكيرك يدور حول المال والربا والقروض والأرباح والأمور التجارية الخسيسة، فهل هناك ضياع أكثر من هذا؟ إن شخصًا كهذا يكون أسوأ من أي عبد ـ إذ أنه تخلّى عن أهم شيء ، أي عن سمو الإنسان وحريته. فمهما تحدّث معك أي شخص فأنت عاجز عن سماع الأمور التي تهم خلاصك، إذ أن ذهنك كله منحصر في التفكير في المال، ومُقيد بواسطة طغيان الثروة، مثل كلب مربوط بسلسلة قوية إلى قبر، تنبح على كل من يقترب منك، وبغير توقف تحرس ثروات غيرك. أيوجد حماقة أكبر من هذه؟ ولأن حديثه هذا كان أعلى من مستوى سامعيه، ولم يكن من السهل لكثيرين أن يروا من أول نظرة أين تكمن العلّة، وبالتالي لم تكن الفائدة واضحة، لكن كانت الحاجة إلى مستوى روحي يَقدْر على التمييز، ومع أن هذا كان واضحًا من حديثه عندما قال: « حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك»، إلاّ أنه أوضحه أكثر عندما وجّه الحديث لا عن الأشياء المعقولة، بل عن الأشياء المحسوسة بقوله إن: «سراج الجسد هو العين» (مت ٦:٢٢)، ومعنى قوله هذا هو ما يلي: لا تدفن الذهب أو أي شيء من هذا القبيل في الأرض، لأنك ستكنز هذا كله، ثم يمتد إليه العث والصدأ وأيادي اللصوص، وحتى إن لم تتعرّض كنوزك لمثل هذه الأضرار، فإنك لن تنجو من استعباد قلبك واستمالته إلى كل ما هو أرضّي، إذ « حيث يكون كنزك يكون قلبك أيضًا». أما إن وضعت كنزك في السماء، فإنك لن تجني هذا الثمر فقط الذي هو الحصول على المكافآت عن هذه الأمور، بل ستكون قد نُلت مجازاتك هنا على الأرض وستأخذ أجرك معك إلى هناك لأنك وضعت اهتماماتك فيما هو في السماء، لأنه من الواضح إنه حيث يكون كنزك سيكون هناك اهتمامك أيضًا.

لكن إن كان هذا الكلام غامضًا بالنسبة لك فاسمع ما يلي: « سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ، فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا، وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَمًا فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ » (مت٦:٢٢-٢٣). إن السيد يوجّه الحديث نحو الأمور التي هي في متناول حواسنا بصورة أكبر فيقول: إن كنتَ لا تعلم مقدار الضرر الذي يصيب (الذهن) فتعلّم من أمور الجسد، إذ مثلما العين بالنسبة للجسد هكذا الذهن بالنسبة للنفس تمامًا، فبالتأكيد إنك لن تفضّل التحلّي بالذهب وارتداء الملابس الحريريّة عن أن تكون عيناك سليمتين، إذ تحسب أن سلامة عينيك هو أمر أكبر أهمية من كل أمر آخر. إذ عندما تكون العينان ضريرتين تضعف معظم طاقة الأعضاء الأخرى. هكذا أيضًا عندما يُفسَد الذهن ستمتلئ حياتك بشرور لا

تحصى. وكما أنه في اهتمامنا بالجسم نهدف إلى جعل عيوننا صحيحة، هكذا أيضًا في نفوسنا، يجب أن يكون اهتمامنا بأن يكون الذهن صحيحًا. فإن شوّهنا الذهن، الذي ينير على بقية الأعضاء، فكيف سنرى بشكل أوضح؟ فكما أن الذي يدّمر النبع يجفّف النهر أيضًا، هكذا الذي يُطفئ الذهن (الفهم)، فإنه يُخزي كل أعماله في هذه الحياة، لهذا يقول السيد: «إن كان النور الذي فيك ظلامًا فالظلام كم يكون». إن اللّه قد أعطانا الفهم كيّ نطرد كل جهل ولنحكم بالصواب على الأمور، وعندما نعمل بهذا الفهم كنوع من السلاح والنور ضد كل ما هو خطر أو ضار، يمكننا أن نبقى سالمين، لكننا نبذّر هذه النعمة في أمور عديمة النفع ونافلة. إن من يوجد في مكان مظلم، لا يستطيع أن يتحرك منه إلاّ إن سطعت الشمس. أما من لديه مشكلة في نظره فإنه لن ينظر حتى وإن أشرقت الشمس. هذا ما يحدث بالضبط لِمَنْ نتكلّم عنهم هنا. فإنهم لا يدركون ولا حتى شمس البّر الذي أشرَق عليهم ويدعوهم، إذ أن الغِنَى قد أعمى أبصارهم، ولأجل هذا فهم يكونون في ظلام مضاعف: الأول ظلام في داخلهم، والثاني ظلام بسبب عدم اتباع وصيّة المعلّم. فلنتبع نحن المعلّم بكل حرص، حتى نستطيع أن نجد النور الحقيقي مرّة أخرى.

سبب العَمَى:

وكيف يمكن أن نبصر مرّة أخرى؟، هذا ممكن عندما تعرف كيف صرت أعمى. وكيف صرت أعمى؟ بالتأكيد بسبب شهواتك الباطلة. لأنه كما أن هناك سوائل تؤذي العين، هكذا شهوة المال فإنها تؤذي النظر مسببة عتامة كثيفة له. غير أن هذه العتامة يمكن أن تنقشع إن نحن قَبلنا شعاع تعاليم المسيح، إن نحن سمعنا وصاياه وكلماته القائلة: « لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض». وربما يتساءل شخص قائلاً: وأي شيء سأربح من السماع في الوقت الذي تتملكني فيه الشهوة؟

تأثير كلام اللّه:

إن سماع كلمة اللّه باستمرار قادر على إزالة الشهوة. أما إن كنت تُصرّ على أن تسيطر عليك هذه الشهوة، فإعرف إن الأمر ليس هو مجرّد شهوة. فما هي هذه الشهوة التي تجعلك في عبودية ثقيلة، تئن تحت نير ثقيل ومحاصر كما في سجن، تعيش في ظلام مملوء بالاضطراب، تحتفظ بالأموال للآخرين وباستمرار ، من أجل أعدائك ؟ مع أي شهوة تتفق كل هذه الأمور ؟ ألاّ يناسب هذه الأمور أن نبتعد عنها ونهرب منها ؟ أي شهوة هذه التي تجعلك أن تترك كنوزك بين اللصوص ؟ إن كنت ترغب في أموالك بالحقيقة فيجب أن تحفظها في مكان آمن. لأن ما تفعله الآن لا يدّل على إنسان يرغب في حفظ المال، لكن يدّل على **حالة الاستعباد والضياع والقلق المستمر التي تسيطر عليه**. فإن دلّك شخص على مكان غير مطروق هنا على الأرض وآمن، وإن ذهب بك إلى الصحراء وأعطى لك وعودًا بحماية أموالك، فإنك لا تتردّد ولا تتحفظ، بل تُظهر ثقة في كلامه وتنقل أموالك حيث يرشدك. أما إن وعدك اللّه وليس إنسان بنفس هذه الوعود واقترح عليك لا الصحراء بل السماء مكانًا لحفظ كنوزك، فإنك لا تفعل الشيء نفسه ولا تُظهر ثقة بوعوده أو تَتَبع كلامه. وحتى وإن كانت كنوزك محفوظة تمامًا هنا على الأرض، فإنك لن تقدر أن تتحرّر من حمل الهموم بسببها، وحتى وإن كنت لن تفقدها فإنك لن تُعتَق من القلق خوفًا من فقدها. أما إن كان كنزك في السماء فإنك لن تعاني شيئًا من هذا بالمرّة، بل وأكثر من هذا فإنك ستربح لأنك لن تخفي ذهبك بل إنك تزرعه. حيث إنه لن يصير كنزًا فقط بل بذرة أيضًا وأكثر من الاثنين معًا. لأن البذرة لن تبقى دائمًا، أما إن كان كنزك في السماء فإنه سيبقى دائمًا، وبينما الذهب لا يثمر، فإن كنزك هذا الذي في السماء سيعطيك ثمرًا لا يفنى. وإن حاولت أن تتعلّل بطول الزمن الذي ستحصل بعده على المكافأة، فإني أستطيع أن أبيّن لك أنك تربح الكثير هنا في حياتك على الأرض وخلاف ذلك فإني سأحاول أن أبيّن لك أن كثير مما تفعله في حياتك هنا على الأرض يكون بدون فائدة على الإطلاق. إنك تتعب كثيرًا وتعمل أشياء عديدة في هذه الحياة، غير أنك لن تتمتع أنت نفسك بها. وإن وجّه إليك أحد اللوم على هذا، فإنك تجيب بأنك تفعل هذا لأولادك ولأحفادك ظانًا أنك بهذا قد أعطيت تبريرات لعمل المزيد من هذه الأفعال. فعندما تبني القصور وأنت في شيخوخة عارمة وغالبًا ما تنتهي أعوامك قبل أن تسكن فيها. وعندما تزرع أشجارًا تعطي ثمارًا بعد سنوات عديدة، وعندما تشتري أراضي وعقارات بالتقسيط وتحوز ملكيتها بعد مدد طويلة، وعندما تفعل أشياء أخرى مماثلة ولا تتمتع بها، فهل تفعل ذلك لنفسك أم للآخرين؟ أفليس إذن من الحماقة أن لا تتضايق بالمرّة هنا بسبب تأخر نهاية الأزمنة في الوقت الذي ستخسر فيه مكافآت بسبب هذا التأخير؟

الوقت قريب:

وغير هذا فإن نهاية الأزمنة ليست ببعيدة أطلاقًا، والوقت قريب جدًا ولا نعرف، فربما في جيلنا هذا تكون نهاية الأزمنة **ويأتي ذلك اليوم المخوف حيث الدينونة الرهيبة**. إن علامات كثيرة قد تحققّت، والإنجيل بُشر به في كل المسكونة، والحروب والزلازل والمجاعات قد وقعت، والمسافات لم تعد بعيدة. ألاّ تشاهد العلامات؟ هذه هي العلامة الكبرى أن الناس في زمن نوح لم يأخذوا بالتحذيرات بالفناء وبينما هم يمزحون ويأكلون ويفعلون كل ما اعتادوا عليه، فعندئذ فاجأهم العقاب الرهيب. وحدث نفس هذا الأمر مع أهل سدوم. فبَينما كانوا يعيشون في حياة اللهو غير متوقعين شيئًا بالمرّة، أصابتهم الصواعق التي وقعت عليهم.

فلنضع هذه الأمور إذن أمام أعيننا ونوجّه نفوسنا للاستعداد للرحيل من هنا. لأنه وحتى إن لم يكن قد جاء موعد رحيلنا جميعًا معًا، فإن نهاية كل واحد فينا هي قريبة، شيخًا كان أم شابًا. وعندما نرحل لن نستطيع أن نشترى لا زيتًا أو حتى نطلب سماحًا من الآخرين. ولن يستطيع إبراهيم أو نوح أو أيوب أو دانيال أن يشفع فينا. وفي الوقت المُتاح لنا فلْنُعدّ أنفسنا لتلك المدينة السمائية ولنجمع لأنفسنا زيتًا وفيرًا ولنكنز كل ما نملك في السماء، حتى نتمتع بها في الوقت المناسب وعندما نحتاج إليها، بالنعمة ومحبة البشر التي لربنا يسوع المسيح الذي له القدرة والمجد الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين

دخول السيّد المسيح إلى الهيكل

الكهنوت

للقديس نيقوديموس الآثوسي

الرسالة

تعظم نفسي الرب
لأنه نظر إلى تواضع أمته

فصل من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين (٧:٧-١٧)

يا إخوةُ انَّه مما لا خلاف فيه أن الأصغر يأخذ البركة من الأكبر * وههنا إنما يأخذ العشور أناسٌ يموتون. فاما هناك فالمشهود لهُ بأنّه حيٌّ * فيسوغ أن يُقال أن لاوي نفسه الذي يأخذ العشور قد أدّى العشور بابراهيم * لأنّه كان في صلب أبيه حين إلتقاه ملكيصادق * ولو كان بالكهنوت اللاوي كمالٌ (فانَّ الشعب عليه قد أخذ الناموس) إذن أيَّة حاجة كانت بعد أن يقوم كاهنٌ آخر على رتبة ملكيصادق. ولم يقل على رتبة هارون * لأنّه متى تحوّل الكهنوت فلا بد من تحوّل الناموس أيضاً * والحال أن الذي يُقال هذا فيه إنما كان مشتركاً في سبط آخر لم يلازم أحدٌ منه المذبح * لأنّه من الواضح أن ربّنا طلع من يهوذا من السبط الذي لم يتكلّم عنه موسى بشيء من جهة الكهنوت * ومما يزيد الأمر وضوحاً أنّه يقوم على مثال ملكيصادق كاهنُ آخر غير منصوب حسب ناموس وصيّة جسدية بل حسب قوّة حياة لا تزول * لأنّه يشهد أن أنت كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكيصادق

كهنوت العهد القديم والعهد الجديد [١]:

«يا إخوةُ انَّه مما لا خلاف فيه أن الأصغرَ يأخذُ البركة من الأكبر» (عب٧:٧).

قبل هذا الكلام، قال بولس إن ملكيصادق قد بارك إبراهيم، وهنا يقول إنّنا كُلَّنا نعلمُ جيّداً أنّ الذي يُبارِك هو أرفع ممّن يتبارَك منه.

«وههنا إنما يأخذ العشور أناسٌ يموتون. فاما هناك فالمشهود لهُ بأنّه حيٌّ» (عب ٨:٧).

هذه فكرةٌ أخرى تدلّ على أنّ ملكيصادق هو أرفعُ من كهنة العهد القديم. هؤلاء كانوا يأخذون العشور، بحسب أوامر النّاموس أمّا هناك، أي في حالة ملكيصادق، فهو يأخذ العُشرَ [٢] وَيَشهَد عنهُ داود في مزاميره أنّه حيٌّ باقٍ إلى الدّهر: «أنتَ كاهنٌ على رُتبة ملكيصادق» (مز١٠٩:٤)، لأنّهُ يتوقّف عند مجيء المسيح، بينما كهنوت ملكيصادق، **أي كهنوت المسيح، فهو يبقى إلى الأبد**. يحيا، ولن يتوقّف أبداً.

«فيسوغ أن يُقال أن لاوي نفسه الذي يأخذ العشور قد أدّى العشور بابراهيم» (عب ٩:٧).

عن طريق إبراهيم جدّ لاوي، قَدَّم هذا الأخير الأعشار لملكيصادق. فيكون هذا الأخير قد أصبَحَ أرفعَ مرتبةً من الكهنة اللاويّين.

«لأنّه كان في صلب أبيه حين إلتقاه ملكيصادق [٣]» (عب٧:١٠).

يوضحُ بولس، هنا، كيف قدَّم لاوي العشور لملكيصادق. يقول وكأنّ لاوي كان في خاصرَة إبراهيم وكُليتيه. لأنّه وُلِدَ من نسله، فكان معه بالقوّة. لم يقل إنّ اللاويّين قدّموا العشورَ، بل لاوي رئيسُهُم، لكي يُظهر أكثر تفوُّق ملكيصادق. يقصدُ بولس عَبْرَ ملكيصادق تفوّق المسيح لا على كهنوت العهد القديم فقط، بل على النّاموس اليهوديّ برُمّته.

ولو كان بالكهنوت اللاوي كمالٌ (فانَّ الشعب عليه قد أخذ الناموس) إذن أيَّة حاجة كانت بعد أن يقوم كاهنٌ آخر على رتبة ملكيصادق. ولم يقل على رتبة هارون (عب١١:٧).

سَبَقَ أن أظهَرَ أنّ ملكيصادَق هو أرفع من إبراهيم ومن لاوي حفيد ابنه، ورئيس الكهنوت النّاموسيّ. وهنا يُبرهن أنّ كهنوت المسيح كاملٌ، فيما كهنوت لاوي ناقص. فلو كان الكهنوت النّاموسيّ الذي على رُتبة هرون كاملاً، لقام كاهنٌ آخر على رُتبة هرون نفسها، علماً بأن هرون كان من قبيلة لاوي. لكنّ المسيح ابن اللّه العليّ، جاء لا على رتبة هرون، بل على رتبة ملكيصادق. الكهنوت اللاويُّ كان إذاً، ناقصاً، فجاءَ كهنوتٌ آخر بعد مُضيّ الكهنوت القديم، لكي يُكَمّل الأوّل.

وما المقصود بالعبارة (فانَّ الشعب عليه قد أخذ الناموس)؟ المقصود أنّ كهنوت هرون أُعطيَ للشعب العبرانيّ بحسب ناموسه، ولم يُعْطَ لشعب آخر، مع كلّ ما يتبع من ذبائح وتقدمات إلى اللّه، وأعياد وخدم تطهيريّة ... وظهر أنّ هذه كلّها غيرُ كافية.

«لأنّه متى تحوّل الكهنوت فلا بد من تحوّل الناموس أيضاً» (عب١٢:٧).

بهذا القول يُظهرُ بولس أنّ إلغاء الكهنوت القديم يعني إلغاء النّاموس القديم أيضاً. إن انتقل كهنوت هرون إلى كهنوت المسيح،

مع العلم بأنّ الانتقال حصلَ لا بحسب الرّتبة وحسب، بل بحسب القبيلة الملكيّة أيضاً، أي قبيلة يهوذا التي منها ينحدر الرّبّ الكاهن على رتبة ملكيصادق. كما أنّ قبيلة يهوذا كانت ملكيّة ، وبعدها أصبحت كهنوتيّة عن طريق المسيح، هكذا فإنّ المسيح الملك (كونه اللّه) قَبلَ الدّهور، صارَ رئيس كهنة في آخر الأزمنة عند التجسّد، عندما قَدَّم للّه ذبيحة نفسه على الصّليب ، ودخَل إلى السَّموات بمجدٍ صانعاً لنا خلاصاً أبديّاً.

«والحال أن الذي يُقال هذا فيه إنما كان مشتركاً في سبط آخر لم يلازم أحدٌ منه المذبح» (عب٧:١٣).

يوضح الرّسول هنا كيف تَغَيَّر الكهنوت النّاموسيّ بحسب السّبط أو القبيلة، عندما جاء المسيح من قبيلة أُخرى (غير سبط لاوي) ، أعني سبط يهوذا الملكيّ. من هذا السّبط لم يتقدّم أحدٌ إلى مذبح مظلّة الشّهادة، ولم يُمارس أعمال الكهنة وخدمتهم.

«لأنّه من الواضح أن ربّنا طلع من يهوذا من السبط الذي لم يتكلّم عنه موسى بشيء من جهة الكهنوت» (عب٧:١٤).

يَلفتنا فعل «**طلع**» بمعنى «**أشرَقَ**» الذي يستعيره بولس من نبوءة بلعام: «يُشرق كوكبٌ من يعقوب» (عب٢٤:١٧) ، ومن نبوءة ملاخي الذي دعا المسيح شمسَ العدل:«وتُشرقُ لكم يا خائفي اسمي شمسُ العدل والشفاء في أجنحتها» (ملاخي ٤:٢). بهذه الكلمات البهيّة يتّضح أنّ المجيء الأوّل للرّبّ حصلَ لإنارة العالم كلّه [٤].

ويُضيف الرّسول بولس أنّ موسى يَنسُبُ كُلَّ ما يتعلّق بالكهنوت إلى سبط لاوي ، دون أن يذكر عنه شيئاً لسبط يهوذا. بينما ينسُبُ إلى هذا الأخير قيادة الحروب وقيادة القبائل الأخرى، عندما تتصدّى لأعدائها.

«ومما يزيد الأمر وضوحاً أنّه يقوم على مثال ملكيصادق كاهنٌ آخر» (عب٧:١٥).

ماذا يقصدُ بقوله: «أكثر وضوحاً» ؟ يعني أنّ الاختلاف بين كهنوت هرون وكهنوت المسيح واضحٌ تماماً. تغيُّرُ الكهنوت القديم ، ومعه النّاموس ، لا يتّضح فقط من كون المسيح الكاهن غير منحدر من قبيلة لاوي، بل من كونه جاءَ على شبه ملكيصادق ورتبته، لا على رُتبة هرون.

«غير منصوب حسب ناموس وصيّة جسدية بل حسب قوّة حياة لا تزول» (عب ٧:١٥).

لم يأخذ ملكيصادق الكهنوت كما كان الكهنة اللاويّون يفعلون، مُتَّبعين وصايا جسديّة: **ختانة الجسد، وطهارة الجسد**. إنْ اهتمّ الإنسان بالجسديّات لا ينال سوى خيرات أرضيّة. لكن ملكيصادق صار كاهناً بقوّة إلهيّة ، كونه يحيا إلى الأبد ، وكهنوته يبقى إلى الأبد. يحيا إلى الأبد لأنّ الكتاب لم يذكر أنّه مات. هذا الحاصل أيضاً مع المسيح الذي أخذ الكهنوت لا بحسب وصيّة جسديّة بل بقوّة الآب ، أي قُوّته الإلهيّة أيضاً. المسيح هو قوّة الآب (اكور ١:٢٤)، لذلك فكهنوته أبديٌّ لا يزول.

لم يَقُل بولس، كما كان متوقّعاً، «بل بحسب قوّة روحيّة» ، بل قال: «بحسب قوّة حياة لا تزول» ، كلمة «**جسدية**» تُشير إلى الحياة العابرة، لذلك يعود ويقول: «قوّة حياة لا تزول» ويقصدُ قوّة حياة المسيح الذي هو رئيس كهنة إلى الأبد [٥].

«لأنّه يشهد أن أنت كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكيصادق» (عب ٧:١٧).

سبق أن نُسب إلى المسيح «**حياة لا تزول**» ، أي إنّه يعيش إلى الأبد، وهو كاهنٌ إلى الأبد ، كما يشهدُ الكتاب المقدّس (مز١١٠:٤). من جهة أخرى لم يصر المسيح كاهناً بحسب ناموس جسديٍّ ، ولم يَصر على رتبة هرون ، أي بحسب النّاموس ، بل على رُتبة ملكيصادق ، أي بحسب طريقةٍ أسمَى تَليقُ باللّه.

التفسير، والشواهد

(١) يكشف بولس، في رسالته إلى العبرانيين، أنّ المسيح، بدخوله إلى الهيكل النّاموسيّ طفلاً، دخَلَ « بدَمه الخاصّ مرّة إلى قُدس الأقداس، فوجدَ فداءً أبديّاً» (عب٩:١٢و٢٤). إنْ كان باستطاعة كهنوت العهد القديم أن يحقّق خلاص العالم (لأنّ عينيّ أبصرتا خلاصك) ، فلن نعود بحاجة إلى المسيح ليُدخل كهنوتاً، ويعطينا الخلاص (عب٧:١١). ملكيصادق كاهنٌ وملكٌ هو رَسم للمسيح. المسيح كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكيصادق ، أي على شبهه (عب ٧ : ١٥و١٧). يسوع المسيح هو اغتفارنا الوحيد أمام الآب (١يو٢:١-٢).

كهنوت العهد القديم يساعد قليلاً لتطهير الجسد (عب٩:١٣-١٤)، ويرثي لضعفاتنا (عب ٤:١٤-١٦)، أما الجديد فيمنحنا الخلاص.

(٢) يقول **إيكومانيوس**: أخذ اللاّويّون العشور، ولكنْ بدون إكرام، كونهم مائتين. أمّا ملكيصادق فقد أخذ العشور وشهد له أنّه حيّ. وكأنّ إبراهيم كان يعرفُ ذلك مُسبقاً، لذا لم يتأخّر عن تقديم العشور والإكرام له.

أما **ثيوذوريتوس** فيقول: كان معلوماً لدى اليهود أنّ إبراهيم لم يكن كاهناً، وقد قدّمَ العشور وأخذَ البَرَكة (راجع تكوين ١٤:١٧-٢٠). أمّا هرون فقد استلم الكهنوت مع جماعته اللاّويّين ، ممّا يدلّ بصورة غير مباشرة على أنّ هرونَ مع اللاّويّين قد قدّموا عَبْرَ إبراهيم العشور أيضاً.

وَلَدَ إبراهيم إسحق، وولد إسحق يعقوب، وولد يعقوب لاويّ.

(٣) دفعَ لاوي العشور لملكيصادق في شخص إبراهيم، لأنه كان في صُلب جدّه (في كُليتيه) ، الكنوت الهارونيّ هكذا يُقدِّم الإكرام للكهنوت الابديّ. يمكننا أن نقول إنّ هيكل أورشليم، في شخص سمعان الذي تقبّل يسوع ، قد قدّم الإكرام لكهنوت المسيح.

كلُّ نفس هي هيكل للّه، حيث مريم تقدِّمُ يسوع، وكسمعان تقول: «الآن أطلق عبدَكَ أيّها السيّد ... لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك». هذا يعني أنّ الذي عايَنَ الربّ ، يتحرّر من الخطيئة، ويغادر مملكة الشّرّ ليلتحق بمملكة السّلام.

(٤) يقول **ثيوذوريتوس** إنّ الملكَ عُزيا ملك يهوذا أصيبَ بالبرص لأنه تجرّأ وبَخَّرَ في الهيكل على مذبح البخور: «فقاوموا عزيا الملك، وقالوا له: ليسَ لكَ يا عزيّا أن توقدَ للربِّ، وإنما ذلك للكهنة بني هرون المقدسين للإيقاد. أخرج من القُدْس، قد تعديّتَ ... فَحَنَقَ عُزيّا وكان في يده مجمرةٌ للإيقاد ، وعندَ حنقه لمع البرص في جبهته قُدّام الكَهنة في بيت الرّبِّ، وهو على مذبح البخور» (٢أخبار ٢٦:١٨-١٩).

يقول **ثيوذوريتوس** إنّ المسيح أشرَقَ من قبيلة يهوذا. هكذا أجاب اليهود عن سؤال هيرودس أينَ يولَدُ المسيح: «في بيت لحم اليهوديّة» ، لأنّ هكذا كتبَ النبيّ: « وأنت يا بيت لحم أفراثة إنك صغيرة في ألوف يهوذا، ولكنْ منك يخرج ليْ رئيس يرعَى شعبي إسرائيل» (ميخا ٥:١).

(٥) يفسّر **ثيوذوريتوس** هذه الآية كالآتي: « يُشبه المسيح ملكيصادق بقوّته. لم يَكُنْ لملكيصادق خلفاء في الكهنوت بحسب الجسد ، وكذلك المسيح ليس له خلفاء (رُسُل المسيح تعيّنوا بحسب الرّوح القدس) ، بينما كان الناموس يأمر أن يرث الابن اباه، عند موت رئيس الكهنة، بحكم كون البَشَر مائتين.

فضيلة بساطة الملبس

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

رئيس أساقفة القسطنطينيّة

الشماسة أولمبيا

إن الأسد يُعرف من مخالبه. وأنت يا أولمبيا تُعرفين من ملابسك. ودعيني أتحدث ببعض كلمات قليلة عن بساطة ملبسك وعن عدم إهتمامك مطلقاً بما تلبسين. وهذه فضيلة قد تظهر لأول الأمر أقل شأناً من غيرها من الفضائل. ولكن من ينظر إليها بعين فاحصة وناقدة يرى فيها فضيلة من أسمى الفضائل، ويرى أنها تتطلب نفساً كاملة تكون قد ازدرت كل أباطيل العالم ونبذتها واتخذت وجهة طيرانها نحو السماء.

ليس في العهد الجديد فحسبُ بل منذ العهد القديم، واللّه ينذر **بالدينونة الهائلة** لمن يهتم كثيراً بملابسة. في ذلك العهد الذي كان اللّه فيه يقود الجنس البشري في الظل والرمز وحين كانت المبادئ أرضية وجسدية، وحين لم تكن القضية قضية أشياء سماوية ولا حياة مستقبلة، ولم يكن للناس من صلة أو عهد بحياة الإنجيل الكاملة، وحين كان الناس يعيشون في شريعة اللحم والدم في الناموس الموسوي، أجل منذ ذلك الحين أنذر اللّه **بالدينونة** بفم نبيه إشعيا أولئك الذين يفرطون في الاهتمام بملابسهم:

«وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن، ويمشين ممدودات الأعناق، وغامزات بعيونهن، وخاطرات في مشيهن، ويُخشخشن بأرجلهن، يُصلعُ السيد هامة بنات صهيون .. ينزع زينة الخلاخيلَ والضفائر والأهلة والحلق والأساور .. والثياب المزخرفة ... فيكون عوض الطيب عفونة، وعوض المنطقة حَبلُ، وعوض الجدائل قَرعةٌ، وعوض الديباج زُنَّار مسحٍ» (إش٣).

أرأيت هذه العقوبة وهذا المنقَلَب الذي لم يسبق له مثيل؟ أرأيت هذه العبودية المهينة التي يسلمهم إليها ؟ ومن هنا تستطيعين الحكم على **عظم الخطيئة**. فهذا الإله الكلي الصلاح ما كان ليعيِّن لمثل هذه **الخطيئة مثل هذا القصاص الهائل** لو لم تكن هذه الخطيئة أعظم منه.

وبما أن هذه الخطيئة هي كبيرة جداً، فيلزم أيضاً أن تكون الفضيلة المضادة لها كبيرة جداً. إن القديس بولس الرسول عندما يخاطب نساء العالم لا يكتفي بأن يصرفهن عن التزين بالذهب، بل لم يكن يسمح لهن حتى بالملابس الفاخرة ذات الثمن المفرط. وما ذاك إلا لأنه يعرف أن فيها مرضاً هائلاً للنفس القليلة التهذيب. وإننا نجد الفضيلة المضادة لها في النفوس العاشقة للكمال والأدب الحقيقي.

وبرهان ذلك لا يظهر فقط في نساء العالم وفي النساء المتزوجات اللواتي ما من واحدة منهن تقبل بارتياح النصائح بهذا الشأن، بل في النساء اللائي يهدفن في حياتهن إلى الكمال، ويكنَّ في مصاف البتولات (الراهبات). وإنك لتجدين كثيرات منهم قد صارعن ضد الطبيعة، بشجاعة غير مغلوبة، وقطعن من غير سقوط ميدان البتولية، يعشن على الأرض عيشة الملائكة ويحققن بالجسد المائت، وقبل القيامة، ما سيكون بعد القيامة ... ومع ذلك، وبعد أن يكن قد ربحن كثيراً من المعارك، فمن المؤسف والمخزي معاً أنهن ينغلبن أمام أقل أعدائهن شأنا، وبعد أن ينتصرن على الشهوات والميول الجبارة يغلبهن حب التبرج وزينة اللباس ... إذ خضعن للزينة أكثر من نساء العالم.

ولعلك تقولين لي: بل إنهن لا يحملن الذهب في أيديهن، ولا يلبسن الألبسة المزركشة بالذهب والعقود المنظومة بالحجارة الكريمة، فأجيبك بأن هناك ما هو شرٌّ من كل هذا كله. وما يظهر عمق شرّهن، وحيلة مقصدهن في جموح العاطفة هو أنهن يجربن، بل يجتهدن أن ينافسن بألبستهن البسيطة المتواضعة أجمل المتزينات بالحرير والذهب، ويلتمسن أن يجدن، حتى في بساطة ملابسهن، وسيلة لأن يصرن أكثر فتنة وإغراء. وهذا سلوك ناعم يفتح أمام الإنسان مزالق عميقة. ولأجل هذا يجب أن يمتدحك آلاف الألسنة بالمقابلة إلى مثل هؤلاء أنت الأرملة البسيطة التي أحرزت، كما نرى، مثل هذا الانتصار السهل، حيث لاقت العذارى معثرة لهن وسقوطاً وانهزاماً.

إنَّ ما **أكبّره فيك ليس فقط زهدك، الذي لا يصدق**، في الملابس التي لا تعدو ثياب الفقراء في مظهرها الفقري وفي رثاثتها، بل أيضاً، وعلى الأخص عدم تفتيشك مطلقاً عن الملابس وعدم اهتمامك بها كأنه أمر لا يخطر في بالك ماذا تنتعلين وكيف تمشين. وهذه هي العلامة على كمال فضيلتك، قال الحكيم: «الإنسان يُعرف من ثيابه وضحكه ومشيه». لأنك لو لم تطرحي، إلى حد بعيد، كل ما تواضع عليه الناس جهلاً، من عادات وتقاليد، ولو لم تترفعي إلى مثل هذا الإحتقار لأشياء العالم، لما كنت غلبت هذه الرذيلة التي لا تُستَأصَل. ولستُ أقبل أن يتّهمني أحد بالمبالغة حين أتكلم عن فظاعة هذه الخطيئة في هذا العصر المسيحي.

إذا كانت هذه الخطيئة، خطيئة التبرج، قد استلزمت العقاب على النساء العالميات في زمن العبرانيين وتحت الناموس القديم، فماذا نقول عن النساء اللواتي يتبعن ناموس النعمة، وهن من أهل مدينة السماء والمفروض فيهن تقليد عيشة الملائكة؟ وأي مبرر لتلك الخطيئة في مقدار حجمها وانتشارها، وكيف نحسب صاحبتها

بتولاً وعذراء؟ هي بنت عذراء وأنت إمرأة متزوجة ومترملة! فتلك العذراء التي ترتدي الملابس الطَويلة ذات الطيات والتجاعيد الكثيرة، تجر أذيال ثوبها على نحو الحال التي ينكرها النبي على نساء صهيون، وفي مشيتها وخطوتها ما يستثير الشهوة، وفي صوتها وعينيها وكل حركة من حركاتها ما يسكب السمّ في أنظار الفاسقين! هذه العذراء التي تحفر الحفر في كل يوم، وتنصب الحبائل في سبيل المارة، هل لنا أن نسميها عذراء، أم أن نحتسبها في مصف البغايا؟ وماذا أقول؟ إن البغايا هن أقل خطراً، إذ ليس على صنارة صيدهن طُعم كثير مثل أولئك، ولا ينشرن مثلهن في كل مكان الفتنة والإغراء.

ولأجل هذا أنا أهنئك وأكبّر فيك هذا النصر المبين الذي أحرزته وأضفته إلى سلسلة انتصاراتك كلها. وإنك لفي بأس الرجال. حين يستسلم غيرك لطبيعة الضعف الأنثوي، وحين يسعين وراء الزينة والتبرج تتسلّحين أنت بالفضائل. إن الأسد يعرف من مخالبه. وقد حاولت أن أبرهنَ أنك تُعرَفين من ملابسك. ولكِ في هذا فضيلة لم أستطع أن أتم وصفها.

روعة وجمال السرير - للقديس يوحنا الذهبي الفم. من عظة الغني ولعازر

«ويل للمستريحين في صهيون ... المُضطجعون على أسرة من العاج والمتمددون على فرشهم والآكلون خرافاً من الغنم وعجولا من وسط الصيرة، الهاذرون مع صوت الرباب .. ، الشاربون من كؤوس الخمر والذين يدَّهنون بأفضل الأدهان» (عا٦:٤-٦).

نوم على أسرة من عاج!!! أيوجد شيء أسوأ من ذلك العبث؟!

الخطايا الأخرى كالسكر والجشع والتبذير قد تقدم بعض اللذة ـ ولكنها ضئيلة ـ أما النوم على أسرة من عاج فما اللذة في ذلك؟ أي راحة في ذلك؟

فجمال السرير لا يجعل نومنا أكثر عذوبة أو أكثر متعة، أليس كذلك؟ بل على العكس يجعله شاقاً ومرهقاً ـ إذا كان عندنا أي فهم ـ فعندما تفكر ملياً **أنه يوجد إنسان غيرك لا يتنعم حتى بخبز كاف لشبعه**، بينما تنام أنت على سرير من العاج، **ألا يحكم عليك ضميرك وينهض ضدك حتى تشجب بشدة هذا الفعل الظالم؟**

أما إذا كان الاتهام موجه ليس فقط للنوم على فراش من عاج بل على فراش مزخرف أيضاً بالفضة من كل جانب، فأي تبرير يجده المرء لذلك؟!

أتريد أن تعرف ما هو الشيء الذي يجعل السرير جميلاً بالحقيقة؟ سوف أعرض عليك الآن روعة السرير، ليس لمواطن أو جندي عادي بل لملك، فحتى لو كنت إنساناً طموحاً أكثر من جميع الناس إلا أنك لن تتمنى أن يكون لك سرير أكثر روعة من سرير ملك، بالإضافة إلى أنني لا ألمح لأي ملك عادي بل إلى الأكثر عظمة، الأكثر ملوكية من جميع الملوك، الذي مازال يُكرَّم في التسابيح في كل مكان في العالم، سوف أعرض عليك سرير داود الملك الطوباوي. ما نوع هذا السرير الذي كان يستعمله؟ سرير ليس مزيناً من كل جانب بالفضة والذهب لكنه مزين بالتوبة والدموع، يذكر هو نفسه ذلك عندما يقول: «أحمُّ في كل ليلة سريري بدموعي أبلُّ فراشي» (مز٦:٦)، فهو يهيء دموعه كاللآلىء في كل مكان على سريره، تأملوا معي كيف كان يحب اللّه من كل نفسه، إذ كانت له في النهار اهتمامات كثيرة تشوه الذهن وتصرف الانتباه ـ اهتمامات متعلقة بالحكام والقادة والأمة والشعب والجنود والحروب والمناورات السياسية والمشاكل داخل بيته وخارجها أو بين جيرانه ـ أما وقت الراحة الذي يستخدمه أي إنسان آخر للنوم، أستخدمه هو للاعتراف والصلوات والدموع، لم يفعل ذلك لليلة واحدة فقط ثم توقف الليلة التالية أو لليلتين أو ثلاثة مهملاً الليالي التي في الوسط بل أستمر يفعل ذلك كل ليلة، فهو يقول: «أحمُّ في كل ليلة سريري بدموعي أبلُّ فراشي» (مز٦:٦)، مُظهراً غزارة واستمرارية دموعه. تلاقى داود مع اللّه وحده بينما كان كل إنسان آخر هادئ ومستريح. كانت له العين المستيقظة وهو يبكي وينوح ويعترف بخطاياه الخاصة. يجب عليك أنت أيضاً أن تصنع لك سريراً مثل هذا. ففضة محيطة بك توقظ غيرة الآخرين وتحرك غضب اللّه عليك، أما الدموع ـ مثل دموع داود ـ فهي قادرة أن تُخْمِد نيران الجحيم ذاتها.

هل أعْرِض عليك سريراً آخر؟ أعرض عليك سرير يعقوب، إذ كانت له الأرض المجردة فراشاً، وكان هناك حجراً تحت رأسه، لهذا السبب رأى الصخرة الروحية (السيد المسيح) وذلك السلم حيث ملائكة اللّه صاعدة ونازلة عليه (تك ٢٨)، دعونا نوجه عقولنا نحو هذه الأسرِّة حتى يمكننا نحن أيضاً أن نرى أحلاماً مثل هذه، لكن إذا تمددنا على أسرة من فضة ليس فقط لن نربح أي متعة بل سيصيبنا الضيق أيضاً، فعندما تتأمل في وسط الليل أيام وقت البرد القارص كيف أنك تنام على سرير كهذا، بينما ذلك المسكين مطروحاً على كومة من القش بجوار باب بيت الحمَّام، مغطياً نفسه بالعيدان، مرتعشاً ومتجمداً من البرد ومقروصاً من الجوع، فحتى ولو كنت الأكثر قساوة من جميع الناس، **إلا أنك بلا شك سوف تحكم على نفسك لكونك توفر رفاهية غير ضرورية لذاتك بينما لا تسمح للمسكين حتى بما هو ضروري لمعيشته.**

أحد مرفع الجبن
طرد آدم من الفردوس

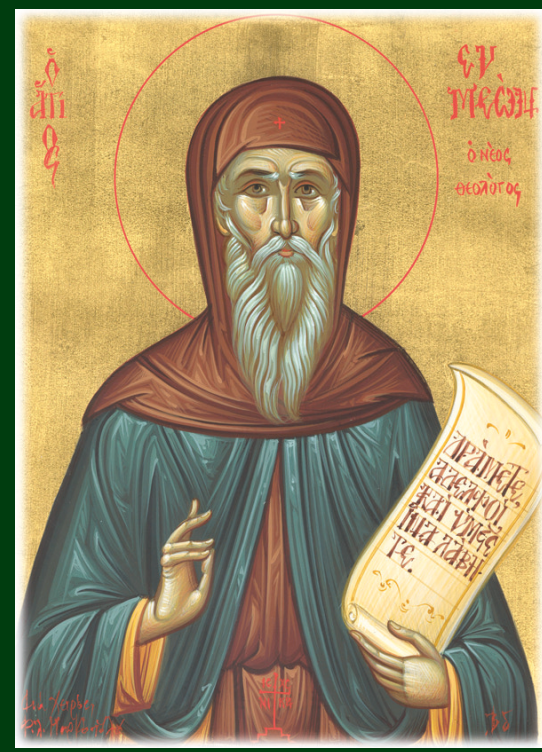

للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

قال اللّه لآدم بعد السقوط: آدم، أين أنت؟

لماذا يتكلم خالق كل الأشياء بهذه الطريقة؟ بالتأكيد، لأنه يرغب في أن يجعل آدم واعياً بخطيته ومن ثم يدعوه إلى التوبة، لذا يقول: آدم أين أنت؟ إفهم نفسك، تحقق من عُريك، أنظر قيمة الثوب وعظمة المجد الذي حَرَمتَ نفسك منه. آدم أين أنت؟ وكأن اللّه تكلم لتشجيعه: نعم، استفيق من غفلتك، أيها المسكين، أخرج من مكان إختباءك. هل تعتقد أنك بذلك تختبئ مني؟ قل فقط : «**لقد أخطأت**». لكنه لا يقول هذا ! ـ أو بالأحرى، أنه أنا، ذلك الشخص التعيس، الذي لا يقول هذا، فأنا في مكانه! ـ لكن ماذا يقول؟ «سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاختبأت». وماذا يقول له اللّه ؟ «من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها؟».

أترى أيها الحبيب، رحابة صدر اللّه وصبره؟ فعندما قال: «آدم أين أنت؟»، وعندما أبَى آدم أن يعترف بخطيئته، بل قال: «إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت، لأني عريان فاختبأت». لم يغضب اللّه عليه، ولم يَصرف وجهه عنه مباشرة، بل أعطاه فرصة للإجابة، فقال: «من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها؟».

تأمل في عُمق حكمة كلام اللّه. إنه يقول: «لماذا تقول أنك عريان وأنت تُخفي خطيئتك؟ هل تعتقد حقاً أني أرى فقط جسدك ولا أرى قلبك وأفكارك؟». ولأنَّ آدم خُدع فقد كان يأمل ألا يعرف اللّه بخطيئته. قال في نفسه شيء من هذا القبيل: « لو قلتُ إني عُريان، لقال لي اللّه عن جَهل: «لماذا أنت عريان؟»، عندها سأنكر وأقول: «لا أعرف». هكذا لا يكشفني اللّه، ويعيد لي كسائي الذي كان لي قبلاً. وإذا لم يُعده لي فعلى الأقل لن يطردني أو ينفيني».

بينما كان آدم يفكر بهذه الأفكار ـ كما يفعل كثيرون حتى الآن (وأنا نفسي أولهم) عندما يخفون شرورهم الخاصة ـ قال له اللّه لأنه لا يريد أن يضاعف ذنبه: «من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها»، وكأن اللّه يقول له: «هل تعتقد حقاً أنه يمكنك أن تختبئ من وجهي؟ أيخيل إليك أني لا أعرف ماذا فعلت؟» أفلا تقول «**لقد خطئت**»؟ قل، أيها البائس: « **نعم ياسيِّد، هذا صحيح، لقد خالفت وصيتك، وسقطت بسماعي لمشورة المرأة. إني أخطأت خطأً فاحشاً بتنفيذي ما قالته، وعدم طاعتي لكلمتك، أرحمني برحمتك**». لكن آدم لا يقول هذا، ولم يتضع، ولم ينحني. «عضل من حديد عنقك وجبهتك نحاس» (إش ٤٨:٤)، كما هو حالي أنا البائس! لأنه لو كان قال هذا ربما لبقي في الفردوس. بهذه الكلمة الواحدة كان من الممكن أن يُجنِّب نفسه العواقب الوخيمة التي لا عدَّ لها. فقد جَنَى على نفسه، فطُرِدَ من الفردوس وقضى قرون عديدة في الجحيم.

الآن استمع إلى النتيجة، وتحقق أن كلام اللّه حقّ لا كذب فيه. قال اللّه لآدم: «يوم تأكل من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها موتاً تموت». من الواضح، أن هذا هو موت النفس، وقد تحقق في نفس الساعة، وتجرّد آدم من ثوب الخلود. لم يتنبأ اللّه بأكثر من ذلك، ولم يحدث أكثر. لأن اللّه كان يعلم مسبقاً بأن آدم سوف يخطئ، ورغب في مسامحته عندما يتوب. لذا، كما قلنا، لم يُدْلِ بأي تصريح آخر ضده. لكن آدم أنكر خطيته ورفض التوبة، حتى عندما وبخه اللّه، إذ قال: «المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني». «التي جعلتها معي» ـ آه أيتها النفس الطائشة، كما لو أنه قال للّه: «لقد أخطأتَ أنتَ، فالمرأة التي

جعلتها معي، قد خدعتني». أنا البائس الشقي أفعل الشيء نفسه، وغير مستعد في أي وقت أن أتواضع وأقول من كل قلبي أنني المسئول والملام على أخطائي. بل على العكس أقول: «كذا وكذا قد استحثوني على القيام بهذا الشيء، فلان وعلان قد نصحوني بفعل هذا أو ذاك». آه أيتها النفس الشقية التي تنطق بكلمات مليئة بالخطية! لذا قال له اللّه: «شوكاً وحسكاً تنبت لك .. بعرق جبينك تأكل خبزك .. لأنك تراب وإلى التراب تعود». أو بكلمات أخرى: «لقد قلتُ لك أن تتوب، فتعود إلى حالتك الأولى. لكن بما أنك شديد التصلب، فارحَل وانصرف عني من الآن فصاعداً. ارتدادك سوف يكون تأديباً كافياً لك، لأنك تراب وإلى التراب تعود».

هكذا حُكمَ على آدم بعد تعديه لأنه لم يتب قائلاً «**لقد أخطأت**». وتم نفيه ومعاقبته بأن يقضي أيامه في تعب وكد وعرق ويرجع للأرض التي أُخذَ منها. اللّه لما ترك آدم، جاء إلى حواء، مُريداً أن يُظهر لها أنها هي أيضاً ستطرد عن استحقاق إذا لم تتب. سألها: «ما هذا الذي فعلت؟»، حتى يمكنها أن تقول «**لقد أخطأت**»، وإلا فما الحاجة إلى أن يسألها الرب هذا السؤال، سوى أن يجعلها أن تقول: «**بحماقتي أنا الوضيعة الشقية، فعلتُ ذلك، أيها السيد. ولم أطيعك يا سيدي، أرحمني**». لكنها لم تقل شيئاً كهذا. ماذا قالت؟ «الحية أغوتني». يا لعدم الإحساس! إذاً قد تكلمت مع الحية التي تُجدِّف على السيد! وفَضَّلتها على اللّه الذي خلقك، واعتبرت مشورتها أخلص من وصية سيِّدك وأصدق! هكذا عندما لم تستطع حواء أيضاً أن تقول: «**لقد أخطأت**». طُردا كلاهما من النعيم، ونُفيا من الجنة واللّه.

تعلموا وافهموا، أنه لو كانوا تابوا ما كانوا قد طردوا، ولا أدينوا وحكم عليهم بالعودة إلى الأرض التي أخذوا منها.

عقول يابسة . للقديس أثناسيوس الكبير

« ثم دخل ايضا الى المجمع. وكان هناك رجل يده يابسة. فصاروا يراقبونه هل يشفيه في السبت.لكي يشتكوا عليه. فقال للرجل الذي له اليد اليابسة قم في الوسط. ثم قال لهم هل يحل في السبت فعل الخير او فعل الشر. تخليص نفس او قتل، فسكتوا، فنظر حوله اليهم بغضب حزينا على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مد يدك، فمدها فعادت يده صحيحة كالاخرى. فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه» (مر٣).

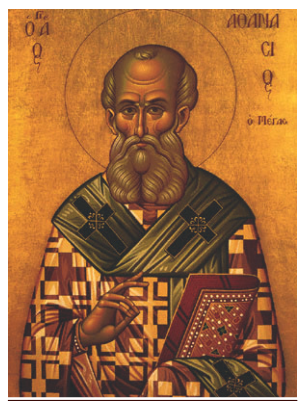
القديس اثناسيوس الكبير

في مجمع اليهود كان هناك رجل يده يابسة. فإذا ما كان هذا الرجل ذا يد يابسة، فإن الحاضرين هناك كانوا ذوي **عقول يابسة**. فلم ينظروا إلى الرجل الموجود هناك، ولم ينتظروا أن تتم المعجزة على يد الصانع.

لكن المخلص، قبل إتمام المعجزة العجيبة، كان يحرثُ عقولهم بكلامه. ولمعرفته **بشرِّ عقلهم وعمق مرارته**، عزَّاهم بأقواله أولاً مريداً أن يُروِّض وحشية فهمهم. فسألهم:

«هل يحلُّ في السبت عمل الخير أم عمل الشر؟ إنقاذ نفس أم إهلاكها؟».

فلو قال «نعم، يحلُّ العمل» لقالوا فورا: «**أنت تتكلم بخلاف الشريعة**».

ثم حدثهم عن قصد الشريعة، فمؤسس شريعة السبت أضاف: «أن الوصية تستثني ما يُفْعَل من أجل إنقاذ النفس». فإذا وقع أحدهم في حفرة يوم السبت فيحل لليهود أن يخرجوه (لو٦:٩) وهذا لا يقتصر على الإنسان، بل ينطبق على الثور أو الحمار أيضاً. بهذه الطريقة تبيح الشريعة القيام بهذه الأعمال، ولذلك يتناول اليهود طعامهم يوم السبت.

ثم سألهم عن نقطة لا يختلفون في شأنها: «أيحل عمل الخير؟»، فلم يقولوا «**نعم**»، لأنهم لم يكونوا ذوي إرادة صالحة.

.....لكن يسوع حزن في قلبه حزناً عميقاً لقسوة قلوبهم، وقال للإنسان الذي شفاه:

«فليُحدِّق فيك أولئك الذين يُبصرون وليفعل الذين أصمُّوا آذانهم ما يشاؤون.

وليُصبح حجارة أولئك الذين غلُظت قلوبهم.

ولتُصبح يمينك ليِّنة. قُم ولا تتسول بعد الآن.

لا تتسول بعد الآن، لأن يمينك عادت صحيحة سليمة وبدأت بالعمل، أمددها للفقير.

وسط الجموع. صِر مشهداً للذين يُبصرون. فيك يُحَلُّ الخلاف حول يوم السبت.

قف في وسطهم، لكي يقف العُرج إن كانوا يسمعون أو يرون.

قف في وسطهم وكلم اليهود بأنه يحلُّ فعل ذلك ... أمدد يدك.

إني لا ألمسك لئلا يُوجه اليهود إليَّ تُهمة.

أُحادثكَ بالكلمة لئلا يظنوا أن اللمس هو عمل تمنعه الشريعة .

لم يقل اللّه «لا تتكلم يوم السبت»

ولكن إن كان الكلام قد أصبح عملاً من الأعمال، فليتعجب المتكلم أمدد يدك».

ومع أن اليد اليابسة شُفيت إلا أنَّ عقول اليهود اليابسة لم تُشف! فَهُم خرجوا في الحال، استناداً إلى قوله، وتشاوروا في ما سيفعلون بيسوع.

أتتشاورون في ما ستفعلون؟

أعبُدوه كرب. اسجدوا له كإله، اسجدوا لصانع العجائب.

اسجدوا للإنسان الذي يعمل أعمالاً تفوق قدرة الإنسان. فهو لم يَجبر اليد بالجصّ، ولم يُطَهِّرها بالمستحضرات. ولم يُحضر المراهم الطبية. ولما وقف في وسطهم قام بهذا العمل على مرأى من الجميع، وليس في مكان مخفي لئلا يقولوا: «**إنه أحضر عقاقير نباتية وجبرها بالجصِّ**».

التقليد الشفوي تقليد الكنيسة السرّي

للقديس
باسيليوس الكبير
رئيس أساقفة كبادوكية

(كتب عام ٣٧٥م)

إن العقائد والتعاليم المحفوظة في الكنيسة، منها ما حصلنا عليه من التعليم الكتابي، ومنها ما تقبّلناه «في سرّ» مُسلَّماً لنا من تقليد الرسل. وللإثنين نفس الفاعلية بالنظر إلى التقوى. وليس من يعترض على ذلك، إذا كان هناك خبرة ولو يسيرة عن الأوضاع الكنسيّة. فإذا باشرنا في رفض ما ليس مكتوباً من عوائدنا كأن ليس لها أهمية كبيرة، نكون بلا وعي نجرح الإنجيل في ما هو مصلحتنا نفسها، فضلاً عن تحويلنا التعريف العام إلى مجرد صياغة بلا مضمون.

على سبيل المثال، **من علَّمَنا كتابةً أن نرسم بإشارة الصليب أولئك الذين يرجون ربنا يسوع المسيح؟**

اية كتابة علَّمتنا الإتجاه في الصلاة نحو المشارق؟

وكلمات الإستدعاء في إظهار خبز الشكر وكأس البركة مَن مِن القديسين استودعنا إياها كتابة؟

أجل أننا لا نكتفي بما ذكره الرسول أو الإنجيل، بل نبدأ ونختم بأقوال أخرى تسلمناها من التعليم الذي لم يُكتب وهي في غاية الأهمية بالنسبة للسرّ.

وأننا نبارك ماءَ المعمودية وزيت المسحة والمعتمد أيضاً. فموجب أية كتابات؟

أليس ذلك بموجب التقليد الصامت والسريّ؟

وماذا عن مسحة الزيت نفسها، أيُّ قول مكتوب علّمنا إياها؟

وتغطيس الإنسان ثلاث مرات، من أين هو؟

بل كل ما يحيط بطقس المعمودية؛
من أيّ سفر كتابي نأخذ طقس جحد الشيطان وملائكته؟

أليس هو من ذلك التعليم غير المنشور السريّ، الذي حفظه آباؤنا في صمت، بعيداً عن تحقيق الفضوليين؟ **مدركين جيداً أنهم بصمتهم يحفظون كرامة الأسرار المهيبة؟** فالذي لا يجوز كشفه حتى للموعوظين، كيف يُعقل أن يُذاع تعليمه في وثائق مكتوبة؟!

وماذا كان يقصد موسى العظيم لمّا جعل أنحاء الهيكل غير متاحة للجميع؟ لكنه أوقف غير الأطهار خارج الأسوار المقدسة، وسمح للأكثر طهارة بدخول الأروقة الأولى، وحكم للاويين وحدهم بحقهم في خدمة الكهنوت. فالذبائح والمحرقات وسائر الخدم الكهنوتية انتدب لها الكهنة للقيام بها، وارتضى بواحد فقط منتخب من جميعهم لولوج الحرم. وهذا لا بنوع دائم، بل يوماً واحداً فقط كل سنة، وفي ساعة منه محدَّدة، مسموح له فيها أن يقف كي يشاهد في ذهول غريب وفريد قدس الأقداس. إن موسى في حكمته كان يحسن المعرفة بأن الاحتقار نصيبُ ما كان سهل الولوج والمنال من كل جهاته، والتهافت خليف طبيعي لما كان بعيداً ونادراً.

أجل، على هذا المنوال، شرَّع الرسل والآباء منذ البدء لكل ما يختص بالكنائس، ففي الخفاء والصمت حفظوا للأسرار هيبتها، لأن ما يُروَّج ويُشاع على مسامع العامة ليس بسرّ. **هذا هو سبب وجود تقليد غير مكتوب بالوصايا والممارسات**، ذلك لئلا تترك معرفة العقائد عرضة لإحتقار الكثيرين بسبب العادة والألفة. فالعقيدة غير التعليم. العقيدة يصمت عنها، أما التعاليم فتنشر للعالم كله. شكل من أشكال هذا الصمت هو الغموض الذي يستعمله الكتاب المقدس لجعل مفهوم العقائد عسير الادراك، وذلك لفائدة الشخص ذاته الذي يُطالعه.

هكذا، كلّنا نتّجه في صلواتنا نحو المشارق، وقليل منّا يفهم اننا نبغي بذلك الوطن القديم، الفردوس الذي نصبه اللّه في عدن نحو المشارق.

أننا نتمم الصلوات وقوفاً في اول الأسبوع وليس الجميع يعرفون السبب. فليس فقط اننا نعيد بذلك إلى الذاكرة، بوقوفنا للصلاة، مثال قيامنا مع المسيح وواجب التماسنا العلويات في يوم القيامة (الأحد)، الذي تُمنح لنا فيه النعمة، بل يبدو أن هذا النهار هو نوعاً ما صورة الدهر الآتي ... اليوم الذي لا نهاية له، ولا مساء له ولا غد، ذاك الدهر الذي لا ينتهي ولا يشيخ. انه ضروري إذن للكنيسة أن تُدرب اولادها على ان يتمموا الصلاة وقوفاً في هذا اليوم، حتى إذا ما واصلت التذكير بالحياة التي لا نهاية لها، لا نهمل الإستعداد الضروري ليوم الانقضاء ذاك.

واياام الخمسين كلها تذكير لنا بالقيامة المنتظرة في الدهر الآتي. فذاك اليوم الواحد والأول، مضروب سبعة بسبعة، يتمم الأسابيع السبعة التي تؤلف ايام الخمسين المقدسة، فتبدأ بالأول وتنتهي به، مُعيدة اياه في الأثناء خمسين مرة متماثلة. لذا فهي أيضاً تُمثّل الأبدية تشابهاً، في حركة دائرة حيثما ابتدأت هناك تنتهي.

في هذا النهار (الأحد) قد درَّبتنا شرائع الكنيسة على تفضيل الشكل المنتصب في الصلاة. فبهذا التذكير الواضح يتحول ذهننا نوعاً ما من الحاضرات إلى المستقبلات. وفي كل ركعة وقيام نُظهر بالفعل أننا سقطنا بالخطيئة إلى الحضيض ثم اننا دُعينا بمحبة خالقنا إلى السماء.

انه لينقضي بي النهار ولا أكون قد انتهيت من سرد اسرار الكنيسة التي لم تُكتَب .

تجسَّدَ من الرّوح القُدُس ومن مريَمَ العذراء

« وظهر ملاك الرب ليوسف في حلم وقال له: لا تَخف يا يوسف ابن داود أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبِلَ به فيها هو مِنَ الروح القُدُس» (متى ١: ٢٠).

بهذه الكلمات يُقَدِّم لنا القديس متى الإنجيلي عقيدة الميلاد البتولي. إنه يحكي لنا أن يسوع حُبِلَ به من الرّوح القدس في بطن أمه.

إن عبارة: «الميلاد البتولي» كان يستعملها الآباء في القرون الأُولى، وكانوا يُؤكِّدون على كلمة: «الميلاد» ليُعَلِّموا عن حقيقة إنسانيَّة المسيح التي اعترض عليها الغنوسيون الذين كانوا يقولون إن المَسيح عَبَرَ فقط ، مُجَرَّد عبور من خلال رحم العذراء، وبهذا ظهر كأن له جسماً بَشَرِيّاً.

فعبارة: «حُبِلَ به من الروح القدس» تعني أن الإله أتى إلى العالم. فميلاده من الروح القدس يعني أنه **اللّه**. «ومن العذراء مريم» تُبَيِّن حقيقة بشريِّته. إذن هو **الإله والإنسان** في شخص واحد. إن عبارة: «حُبِلَ به من الروح القدس» تعني أن اللّه لم يَصر إنساناً فقط، بل إنّ هذا الإنسان هو اللّه نفسه، فاللّه يَخلق إنساناً جَديداً، عند هذه النقطة الإلهيّة والبشريَّة بدأ اللّه يخلق الخَليقة الجديدة. العالم كله الدَنس والبالي اهتَزَّ وارتعش عند حَقنه مباشرة بالحياة الأساسيَّة التي لم تتَّسخ ولا استُترفَت خلال تاريخ الطبيعة المُزدَحم والطويل. كان اللّه يُدخِل في مجرى دم البشريَّة شيئاً جديداً، شيئاً مختلفاً، حياة جديدة غير مُلَوَّثة بخطايا الماضي، فالوحيد الذي يمكنه أن يُخَلِّص العالَم لابدّ أن يكون هو ليس من هذا العالم، وأيضاً لا يكون هو نفسه مُحتاجاً إلى خلاص.

ولكي تُحافظ الكنيسة على عقيدة التجسُّد، فإنها دَعَت العذراء ليس «أُم يسوع» فقط، بل أيضاً: «والدة الإله ـ الثيوطوكوس» ، حتى يَتَّضح للجميع أن الذي تحمله ليس مجرَّد إنسان له صله باللّه، ولكنه شخصٌ واحد، وهو اللّه والإنسان في آن.

إنه: «حُبِلَ به من الروح القدس»، ليُبَيِّن لنا أيضاً أنه لم يأت إلى العالَم بمحض الصُدفَة أو بمشيئة إنسان، بل قد دخَلَ التاريخ بسلطان إلهي، فهو غير خاضع للطبيعة ولكنه سَيِّد الطبيعة. إنَّه ليس من صُنْع إنسان ولكنه عَطيَّة اللّه للإنسان، إنّه لم يولَد كأي بَشَر، إنه فَريد، إنه وُلِدَ: «ليس من دَم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رَجُل لكن من اللّه» (يو١: ١٣).

يقول أغسطينوس المغبوط: «إن المسيح وُلِدَ كإله من الآب وكإنسان من الأم. وُلِدَ من عَدَم الموت من الآب ومن بتوليّة الأم. وُلِدَ من الآب بدون أُم ومن الأُم بدون أب جسدي. ميلاده من الآب غير زمني وميلاده من الأم بدون زرع. من الآب هو بداية الحياة ومن الأُم هو نهاية الموت. من الآب هو يُرَتِّب كل الأيَّام ومن الأم هو يُقَدِّس هذا اليوم».

الفصل الثالث والعشرون

ما حدَثَ هو علامة عظيمة على مجد الكنيسة، وكثيرون انتفعوا به.

١) يمكن اعتبار هذا كعلامة عظيمة على الفضائل المتراكمة لحساب الكنيسة وعلى شجاعتها. عندما رأى الشيطان الشرّير الكنيسة مزدهرة ومكرّمة ونامية في وقت قليل ، ممتلئة غيرة. عندما رأى الجهود نحو أعمال أفضل من جهة مَن كانوا سابقاً محل اعتبار ، والتحوّل نحو التوبة من الذين كانوا عائشين في الخطية، والأرض كلها تلقّت التعاليم (الروحية) من هذه المدينة المشهورة (القسطنطينية) ، فإنه تحرّك بكل دسائسه، وأشعل حروباً داخلية.

٢) كما بالنسبة لأيوب، فتارة فَقَدَ أملاكه، وتارة أخرى حُرِمَ من أولاده، وتارة حالته الصحية متدهورة، وتارة أخرى لسان زوجته (يطعنه)، تارة الإهانات وتارة أخرى السخرية والإساءات التي وجهها إليه أصدقاؤه، إذ أن الشيطان تحرّك وتقدّم بكل أنواع المكائد، هكذا بالنسبة للكنيسة. فبواسطة الأصدقاء والأعداء ومَن يشغلون مناصباً في الإكليروس، ومَن كانوا في الجيش ، ومن الأساقفة، وبشخصيات عديدة من كل نوع **حرَّك الشيطان كل مَن هو خاضع له**.

٣) ولكن عندما دَبَّر فخاخاً كثيرة، ليس لم يزعزعها فقط، بل أيضاً جعلها أكثر بهاء.

لأنها لو لم تكن مُضطهَدَة ، ما كانت شكّلت البشَر مثلما تعلّم الأرض الآن التعفّف والسيطرة على الأهواء، واحتمال التجارب، وإظهار الصبر، واحتقار أمور الحياة، وعدم صنع أي اعتبار للغنى، والضحك على الكرامات (ومظاهر التعظيم)، واحتقار الموت والاستخفاف بالحياة، وعدم الاعتبار للأقارب والأصدقاء والأهل، والاستعداد لتلقي كل انواع الأضرار، والإندفاع نحو السيف (للإستشهاد)، واعتبار كل تعظيمات الحياة ـ أقصد الكرامات والمجد والقوّة والتَرَف ـ مثل أكثر أزهار الربيع الضعيفة.

٤) وهي لا تُعَلِّم هذا لواحد أو اثنين أو ثلاثة فقط، بل لكل الشعب، ليس بكلماتها فقط، بل بأعمالها، بآلامها، بانتصاراتها، ، بالفخاخ التي تنتصر عليها، بالصمود الذي تُقاوم به كل ما يأتي عليها، وهي أكثر قوّة من الفولاذ، وأكثر ثباتاً من الصخر، دون أن تستخدم أسلحة، أو تُعلن الحرب، ودون إطلاق حَربَة أو سَهم، بل تحيط كل واحد بترس الصبر والتعقّل والوداعة والشجاعة، فتجعل مَن يؤذيها يمتلىء خزياً من أتعابها.

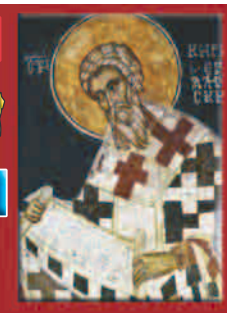

العظات الثمانية عشر لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الحادية عشرة في العماد

«إنّ الله بعدما كلم آباءنا قديماً مرّات كثيرة بلسان الأنبياء كلاماً مختلف الوسائل، كلّمنا في هذه الأيام، وهي آخر الأيام، بلسان ابنه الذي جعله وراثاً لكل الأشياء وبه أنشأ العالمين ...» (عبر ١:١-٢)

«... ابن اللّه الوحيد، المولود، إله حق، من الآب قبل كلّ الدهور، به كان كلّ شيء»

١ ـ يسوع المسيح الربّ الواحد

أن يكون المسيح يسوع هو رجاؤنا ، لقد قلنا ذلك بما فيه الكفاية قدر استطاعتنا ، في ما قلناه إليكم الأمس . على أنه يجب ألاّ نؤمن بيسوع المسيح إيماناً عادياً، وألاّ نعتبره كأحد هؤلاء الناس الكثيرين الذين يُسَمّون مسحاء. لقد كان هؤلاء مسحاء صوريين، أما هو فالمسيح الحقيقي. إنه لم يصل الى الكهنوت بترقية من البشر ، بل تلقّى من الآب منذ الأزل الكرامة الكهنوتية. ولذلك ـ لكيما لا نقبل أحد هؤلاء المسحاء العاديين ـ يحذّرنا الإيمان عندما يدرج في قانون الإيمان هذه العبارة: «نؤمن بربٍ واحد يسوع المسيح، ابن اللّه الوحيد».

٢ ـ يسوع المسيح «الأوحد»

عندما تسمع «ابن» لا تفكّر في ابن بالتبنّي، بل في ابن بحسب الطبيعة ، ابن وحيد ليس له أخ آخر غيره. إنه يُدعى «وحيداً»، لأن ليس له أخ آخر في الكرامة الإلهية ولا في مولده من الآب. ونحن لا ندعوه ابن اللّه من ذاتنا، بل هو الآب الذي دعا المسيحَ ابنه. والتسمية تكون حقّة عندما تُفرض من الآباء على ابنائهم.

٣ ـ شهادة بطرس

فيما مضَى أخذ ربنا يسوع المسيح الطبيعة البشرية، وهذا ما كان يجهله الكثيرون. ولما كان يريد أن يعلّم ما كان مجهولاً، جمع تلاميذه وسألهم: «من هو ابن الانسان على حدّ قول الناس؟» (متى ١٣:١٦) لم يسألهم حباً في مجد باطل، بل كان يريد أن يعلّمهم الحقيقة لكيما لا يعتبروه ـ هم الذين يقيمون مع اللّه، ابن اللّه الوحيد ـ إنساناً عادياً ؛ وعندما أجابوه: «بعضهم يقول: هو إيليا، وغيرهم يقول: هو إرميا ...» قال لهم: «هؤلاء الذين لا يعرفون ، معذورون، ولكن أنتم، يا رُسلي، الذين شفيتم بإسمي البُرص وطردتم الشياطين، وأقمتم الموتى، فيجب ألاّ تجهلوا الذي بإسمه صنعتم هذه المعجزات». فالتزم الجميع الصمت (لأن هذا التعليم كان فوق طاقة الإنسان). لم يلجأ بطرس، هامة الرسل ، إلى التكهّن أو إلى المنطق البشري، بل الآب هو الذي أضاء ذهنه، فقال: «أنتَ المسيح ـ لا أي مسيح عادي ـ ، بل ابن اللّه الحيّ» (متى١٦:١٦). وعليه تبع التطويب الكلمة (التي كانت فعلاً فوق طاقة الانسان) وخَتَمتْ ما قيل، من أن الآب هو الذي كشف ذلك، إذ قال المخلّص: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات» (متى١٧:١٦). فكل من يعترف إذن بأن ربنا يسوع المسيح هو ابن اللّه، يشترك في التطويب. ولكن الذي ينكر ابن اللّه، فهو تعيس وشَقَيّ.

٤ ـ ولادة المسيح الأزلية

(أقول لَك) مرّة أخرى، إنه عندما تسمع كلمة «ابن»، لا تفهمها بالمعنى المجازي، بل بالمعنى الحقيقي، ابن بالطبيعة، لا بداية له. إنه لم يأت من العبودية الى الكرامة بالتبني، بل هو ابن مولود منذ الأزل، ولادة لا لوم فيها، تفوق الإدراك. كذلك عندما تسمع أنه «بكر» (عبر ٦:١)، لا تفكّر فيه تفكيراً بشرياً. لأن «الأبكار» بين البشر لهم أخوة آخرون ؛ كما هو مكتوب: «إسرائيل هو ابني البكر» (خر٢٢:٤). ولكن كما أنّ رؤبين كان الابن البكر وطرده إسرائيل لأنه صَعِدَ على مخدع أبيه (تك٤:٤٩)، كذلك إسرائيل طرد ابن الآب من الكرم وصلَبَهُ (متى٣٩:٢١). ويقول الكتاب عن آخرين: «أنتم أبناء الربّ إلهكم» (تثنية١:١٤). وفي موضع آخر: « قلت: إنكم آلهة وبنو العليّ كلكم» (مز٦:٨١) ؛ «قلتُ» وليس «ولدتكم» ؛ وبكلمة اللّه هذه، تلَقّى هؤلاء النبوة التي لم تكن لهم من قَبل. أما هو، فلم يكن على حال آخر ولم يولَد على حال آخر، بل وُلد منذ البدء إبناً للّه الآب، كائناً قبل كل بداية وقبل الدهور، ابن للآب مساوٍ في كل شيء للذي ولده، أزليّ مولود من الآب الأزلي ؛ حياة مولود من حياة، نور من نور، حقّ مولود من حقّ، حكمة من حكمة، مَلك مولود من مَلِك، إله من إله، قدرة من قدرة.

٥ ـ ميلاد يسوع الأزلي والزمني

إذن إن سمعت الإنجيل يقول: «كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن ابراهيم» (متى ١:١)، فافهمه عن ميلاده حسب الجسد، لأنه ابن داود في ملء الأزمنة، ولكنه ابن اللّه قبل كل الدهور، بلا بداية. تقبّل بنوّته الجسديّة التي لم تكن له، أما بنوّته للآب فهي له منذ الأزل. إن له أبوين: داود بحسب الجسد، واللّه الآب بحسب الألوهية. فما هو بحسب داود يخضع للزَمن ويُلمَس وله نسب ؛ ولكن ما هو بحسب الألوهية، فلا يخضع لزمان أو مكان، ولا نسب له. لأن «مولده مَن يصفه ؟» (أشعيا ٨:٥٣). «اللّه روح» (يو٢٤:٤) فوَلَدَ روحيّاً ـ بصفته لا جسد له ـ ولداً لا يمكن الكشف عنه ولا إدراكه. الابن ذاته يقول على لسان الآب: «الرب قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك» (مز٧:٢) ؛ هذا «اليوم» ليس حديثاً بل أزلياً ؛ هو يوم لا يحدّه زمن، قبل كل الدهور. «من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك» (مز٣:١٠٩).

إن قال أحدٌ: «إنّي أُحبُّ اللّه» وأَبغَضَ أخاهُ الذي أَبصَرَهُ. كيف يقدِر أن يُحبَّ اللّه الذي لم يُبصِرْهُ ؟ (١يو ٢٠:٤)

مَنْ لا يُؤَدِّي شُكْرَ نِعْمَةِ خلِّه
فَأَنَّـى يُؤَدّي شُكْرَ نِعْمَةِ رَبِّه

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٧٤)

يهو أحاز (٨١٣-٧٩٧ ق.م.) (٢مل ١٣:١-٩):

خلف يهو أحاز أباه ياهو على عرش إسرائيل وحكم ١٧ سنة سقطت فيها إسرائيل تحت حُكم سوريا ، عندما عبر حزائيل ملك سوريا الأردن واندفع ناحية البحر ولم يَعُد لياهو أحاز سوى خمسين فارساً وعشر عربات ونحو ألف جندي، لأن حزائيل أفناهم وشتّتهم ، ومن المحتمل أن يكون السوريون هم الذين ضربوا حاصور لأن حصن حاصور كان شوكة في جنب سوريا.

يهوآش (٧٩٧-٧٨٢ ق.م.) (٢مل ١٣:١٤-١٦):

يهوآش هو خليفة يهو أحاز وحفيد ياهو وحكَم إسرائيل ١٦ سنة، وفي حماسة إنتصارات أمصيا ملك يهوذا التي حقّقها في أدوم طلب مقابلة يهوآش وثار النزاع بينهما واشتعلت الحرب بين المملكتين، وسار الإسرائيليون غرباً من السامرة وجنوباً على طول البحر ليهاجموا مملكة يهوذا من مداخلها الغربية والتي يسهل إختراقها، وتقابَل الجيشان في بيت شمس ووقع أمصيا في الأسر وتقدّم جيش إسرائيل وهدم السور الشمالي لأورشليم ونهب المدينة والهيكل وأخذوه معهم أثناء إنسحابهم رهائن وأسلاباً إلى السامرة لكنهم أطلقوا سراح أمصيا، وحرّض النبي أليشع وهو على فراش المرض يهوآش بتجديد الحرب مع دمشق وتدمير قاعدة أفيق وتتحقق نبوات أشعيا في الإنتصارات على سوريا، وهكذا زال الخطر عن إسرائيل.

يربعام الثاني (٧٨٢-٧٤٧ ق.م.) (٢مل ١٤:٢٣-٢٩):

مَلَكَ يربعام بن يهوآش في السامرة نحو ٤١ سنة وتزامن حُكمه مع حُكم عزيا ملك يهوذا ، وفي هذا الوقت تمتّعت المملكتان بفترة من الرفاهية والهدوء وشهدت عشرينيات القرن الثامن ق.م. شيئاً من الإزدهار وتحسُّناً في الأحوال، وقد ساعدت على ذلك الظروف العالمية في القوى الكبرى والجارات المحيطة، فسوريا التي كانت تشكّل خطراً داهماً لم تَفُق من الضربات التي وجهها إليها هددنيراري الثالث حفيد شلمناصر الثالث والذي استولى على دمشق وفرض عليها جزية باهظة. والإمبراطورية الأشورية غاصت في نصف قرن من الفوضى، أما مصر فلم يكن بها قوّة حربية مُهاجِمَة منذ فتوحات شيشق التي انتهت في أواخر القرن العاشر ق.م. ؛ وتحرك يربعام الثاني بما اشتهر به من نشاط وقوة واستفاد من استيلاء أبيه على أفيق، فنال إنتصارات عظيمة وَمَدَّ الإسرائيليون إنتصاراتهم إلى ما وراء الحافة الجنوبية لهضبة باشان واستولوا على دمشق وامتدوا إلى مدخل حماة واستعادت إسرائيل غابات ومزارع جلعاد وأقصيَ الخطر السوري مؤقتاً، وابتدأت الجزية تتدفّق على إسرائيل من الشعوب المهزومة ، وعاشت إسرائيل تتمتّع بالرخاء الذي صاحبه بعض النهضة، فارتَقَت الصناعات والحرَف وصارت مجدّو مركزاً إدارياً هاماً، وفي حاصور شُيِّدت المَصانع وأُقيمت الحوانيت ، وعقب زلزال حدث سنة ٧٠٠ ق.م. أُقيمت منازل جميلة، وأُدخلَت إصلاحات كبيرة في التحصينات حول المدن وقُوِّيَت الأسوار وتضاعفت خطوط الدفاع ، وهذا يوضح أن إسرائيل إبتدأ يساورها القلق من تحرّك العملاق الأشوري، وفي هذه الأثناء أُرسل يونان النبي إلى نينوي عاصمة أشور (يون ١:١).

وكان عاموس النبي معاصراً لتلك الأحداث وكان من تقوع نادى برسالة خراب على إسرائيل بسبب بناء القصور الفاخرة ومنحوتات العاج في قصر يربعام والذي يقع على قمّة جبل السامرة (عا٦:١) وقد إكتشف بقاياه بعد أن خرّبه الأشوريون ونهبوه في هجومهم على السامرة، وحذّر عاموس من تلك الحياة الناعمة وتَفَشِّي الفساد والعبادة الوثنية.

وظهر نبي آخر هو هوشع والذي بكى على شعبه حينما رأى الزوبعة تتجمّع في الشمال الشرقي، كَنُبُوّة عن تحرّك العدو المخيف نحو إسرائيل، فرأى فيها دينونة اللّه لإسرائيل لأنهم تركوه وعبدوا الأوثان وسقطوا في الزنى، فتنبأ بالسبي المزمع أن يحدث، ورأى النسر رمز أشور فوق بيت الرب، لأن الشعب قد خالف العهد مع اللّه (هو٨:١).

زكريا (٧٤٧ ق.م.) (٢مل ١٥:٨-١٢):

عقب موت يربعام الثاني إعتلى عرش إسرائيل ابنه زكريا الذي لم يستمر حكمه سوى ستة أشهر قبل أن يغتاله شلوم، وبذلك إنتهت أسرة ياهو بعد قرنٍ من الزمان.

«فاشترك أنتَ في احتمال المشقات كجنديٍّ صالحٍ ليَسوع المسيح. ليسَ أحدٌ وهوَ يتجَنّد يرتبك بأعمال الحياة لكي يُرضي مَن جنّدَهُ. وأيضاً إن كانَ أحدٌ يجاهد، لا يُكَلَّلُ إن لَم يُجاهِد قانونيّاً» (٢ تيمو ٢:٣-٥)

وَمَن أرادَ العُلا عَفْواً بِلا تَعَبٍ
قَضَى وَلم يَقْضِ مِن إدراكِها وَطَرا
لا بُدَّ لِلشَّهدِ مِن نَحْلٍ يُمَنِّعُهُ
لا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرا
لا يُبْلَغُ السُّؤالُ إلاّ بَعْدَ مُؤلِمَةٍ
وَلا تَتِمُّ المُنَى إلاّ لِمَنْ صَبَرا

الجهاد في زمن الصوم المبارك

قصة رمزية

حدث في زمان ما وفي أرض بعيدة جداً، أن كان يعيش رجل عجوز طيب القلب أحب كل شيء حتى الحيوانات ، والطيور ، والعنكبوت ، والحشرات.

وفي يوم ما بينما كان يتمشَّى في الغابات المحيطة بمنزله، وجد هذا الرجل الطيب القلب شرنقة. وإذ كان يحس بالوحدة، قرّر أن يأخذ هذه الشرنقة إلى بيته ليُشاهد عملية التحوُّل الجميلة من شرنقة صغيرة لطيفة المنظر إلى فراشة جميلة.

ووضع الشرنقة برفق على المنضدة بالمطبخ، وأخذ يُراقبها بدقة لمدة أيام عدة. وفجأة، وفي اليوم السابع بدأت الشرنقة تتحرك وكانت تتحرك بعنف. وأحس العجوز بأسف على الفراشة الصغيرة التي داخل الشرنقة. وكان يُراقبها وهي **تجاهد وتجاهد وتجاهد** من داخل الشرنقة لكي تشقَّها!

وأخيراً، أشفق العجوز على فراشة الشرنقة، فاندفع إلى معونتها بمشرط جراحي، حيث شقَّ به الشرنقة برفق شديد شقّاً طولياً حتى يمكن للفراشة من الداخل أن تخرج منه وتبدو للعيان!

وكانت هي الفتحة، حيث خرجت منها الفراشة حُرَّة، **ولكن لكي تستلقي وهي ذاوية بلا أي حِراك تماماً**.

ولم يعرف العجوز حتى أن يفكر. فهل هو قتل الفراشة الصغيرة عن غير قصد؟ لا، فها هي تتحرَّك قليلاً! ربما كانت عليلة!

ومَن ذلك الحكيم الذي يستطيع أن يدلَّه عمَّا حدث لها؟ وأُحبط، وتحيَّر! وقال لنفسه: «**ماذا عليَّ أن أفعل**»؟

وفي حسرته عمَّا فعل لهذا المخلوق الصغير، قرَّر أن أفضل ما يفعله هو أن يُرجعها برفق شديد إلى شرنقتها مرة أخرى.

وهكذا فعل، وَلَحَم الشقَّ الذي فتحه بقليل من العسل، وترك الفراشة تتقوقع مرة أخرى في حالتها الطبيعية الأولى داخل الشرنقة.

وفي اليوم التالي لاحظ أن الشرنقة تتحرَّك مرة أخرى. يا للّه! إنها **تتحرك وتتحرك والفراشة من الداخل تجاهد وتجاهد**. وأخيراً انطلقت الفراشة حُرَّة من شرنقتها، وفَرَدت جناحيها طولاً وعرضاً!

ما أكثر الوقت اللازم لكي يظهر الفجر! ها هي بجناحيها الملوَّنين المليئين بالنقوش البديعة! وطارت داخل الغرفة ثم خرجت من النافذة وهي في منتهى الجمال!

وكاد العجوز أن يطير من الفرح! وظل يراقبها وهي تطير في الخارج حتى غابت عن نظره. ما أعظم الفرح الذي أصابه!

ثم بدأ يُفكِّر، ما الخطأ الذي فعلته وأنا أحاول أن أساعد هذه الفراشة الصغيرة الجميلة على الخروج من شرنقتها المرة الأولى؟

وتوجَّه العجوز إلى المدينة، وبحث عن المكتبة العامة، وأخذ يُفتش في كل كتاب وجده عن الشرنقات والفراشات.

وأخيراً، عثر على الإجابة. **فالفراشة كان لابد أن تجاهد وتجاهد داخل الشرنقة**. وهذه هي الطريقة التي تحصل بها على القوة. وهذا ما دبَّره اللّه لها لكي تقدر أن تُقاوم، لكي تخرج قوية وجميلة!

ولا حاجة إلى القول إن العجوز اندهش، وحَزِن، ولكنه استراح أخيراً.

الآن عرف السبب فيما حدث منه للفراشة. فكان لابدّ للفراشة أن تجتاز هذا الموقف الصعب لكي تخرج إلى الحرية وتطير بحرية. كما عرف الرجل أنه كثيراً إذا ما أحببنا شيئاً أو شخصاً ما، فلابدّ أن نصلِّي من أجله ونُشجِّعه على الجهاد.

وتحقَّق أيضاً أن اللّه عجيب في حكمته، وأنه كثيراً ما يكون المظهر الخارجي غير ما نظن أنه هو الحقيقة في نظرنا.

فنحن جميعاً نشبه الفراشات الجميلة، ولابد لنا من الجهاد لكي نصير على ما نحن عليه من جمال.

وما أصدق قول الرب في الإنجيل حينما قال:

❊ «ادخلوا من الباب الضيِّق... ما أضْيَق الباب وأكْرَب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة» (متى ٧: ١٣-١٤).

كما يقول القديس بطرس الرسول:

❊ «إن كان يجب تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة، لكي تكون تزكية إيمانكم، وهي أثمن من الذهب الفاني، مع أنه يُمتحن بالنار؛ توجد (تزكية إيمانكم) للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح» (١بط ١: ٦-٧).

– أما القديس بولس الرسول فيُعبِّر عن اختباره قائلاً:

❊ «إن كنا نتألم معه، لكي نتمجَّد أيضاً معه» (رو ٨: ١٧)